د. عبدالله النفيسي

@ketab_n
Follow Me

20.3.2014

من أيام العمر الماضي

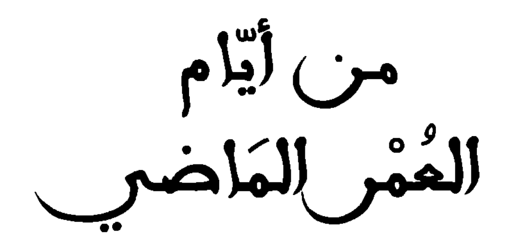
مكتبة آفاق

مِن أيّام العُمْر المَاضي

عَبْدُ اللّه فَهَد النِّفيسي

Ph. D (Cantab)

مكتبة آفاق


من أيّام
العُمْر الماضي

مكتبة آفــاق 2014 م

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

923.29538

من أيام العمر الماضي/ عبد الله فهد النفيسي .- ط1 .- الكويت : آفاق للنشر والتوزيع ، 2013

184 ص؛ 14 X 21 سم.

ردمك: 4 - 45 - 59 - 978-99966

1. عبد الله النفيسي. 2. الكويت – تراجم. أ. العنوان

رقم الإيداع

2013 / 337

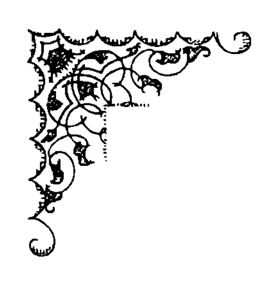
ردمك: 4 - 45 - 59 - 978-99966

الطبعة الأولى

1435 هـ / 2014 م

مكتبة آفــاق

Tel.: +965 22256141 - Fax : +965 22256142
P.O.Box: 20585 Safat - Postal Code: 13066 Kuwait
Info@aafaq.com.kw
www.aafaq.com.kw




الإهداء

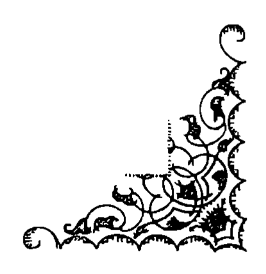
إلى عبد الله أبو عَزَّة.

النُور الذي سَطَع في عام 1973 فَأَنَار لنا الدَّرْب.
مَحَبّة واحترامًا من صحراء النَّفْط والتّيه.

عبد الله النفيسي

مدينة الكويت

2013/05/20



المعادي	1961 - 1951
مانشستر	1962 - 1961
بيروت	1967 - 1963
كمبردج	1972 - 1968
جامعة الكويت	1978 - 1972
الدّمَام	1979
إكستر	1981 - 1980
العين	1984 - 1981
مجلس الأمة	1986 - 1985
سنوات الاضطراب	1990 - 1986
الغزو العراقي	1991 - 1990

يليه إن شاء الله الجزء الثاني

(من الغزو العراقي إلى الغزو الإيراني)

فيكتوريا:

● في هذه الساعة من النهار يضّج فناء المدرسة بحركة التلاميذ؛ العاشرة والنصف أول فرصة للاستراحة - أو كما يسمونها في كلية فيكتوريا ال First break - يتجمهر الطلبة عند المقصف tuck Shop الذي يُديره مايك جابريليدس Mike القبرصي اليوناني البدين الودود وزوجته الضئيلة التي تشكو دائمًا من البرد والزُكام.

الخيارات في المقصف محدودة: سندوتش جبنة رومي، لوح شيكولاتة كورونا، أو «دونت» بمرّبى الفراولة أو قنينة سيترو Citro وفي مناسبات نادرة آيس كريم. وقتها كنا أطفالاً لم نتجاوز الثامنة يملؤنا الفرح والأمل والبراءة. كانت كلية فيكتوريا Victoria College بالنسبة لطلبتها والقابعة في طرف حيّ المعادي (جنوب القاهرة) أهم مؤسسة في حياتهم خصوصًا الطلبة الداخلية boarding الذين يسكنون في عنابر الكلية أي في الـdormitories، ويستشعرون رسوخ معيتهم الجمعية togetherness في الكلية (المدرسة) عنابر السكن وقاعة الطعام الفسيحة وحوض السباحة وقاعة السينما حيث نشاهد كل يوم أَحَد فيلمًا (طبعًا أسود وأبيض) وفي الأغلب كوميديًا: Laurel Hardy Charles Chaplin

تشارلز تشارلن أو لوريل وهاردي. المدرسة تتبع النظام الإنجليزي في كل شيء: زي موحَّد بين الطلبة uniform (رمادي وأزرق) الاستيقاظ السادسة صباحًا؛ دوش.سريع؛ تلميع الأحذية؛ ارتداء اليونيفورم والوقوف في طابور التفتيش استعدادًا للذهاب إلى قاعة الطعام لتناول وجبة الإفطار

الصباحي. ولأننا ننام مبكرًا (الثامنة مساءً) حين تُطفأ الأنوار في كل العنابر blackout لذلك لا يحين موعد الاستيقاظ (السادسة صباحًا) إلا وقد شبعنا نومًا وتضورنا جوعًا لذلك فإن وجبة الإفطار الصباحي كانت تحتل في يومنا المدرسي أهمية كبيرة. في العادة يتكون الإفطار الصباحي من: قطعة زبدة مع مربى التين وجبنة بيضاء بلدي وكثير من الخبز وشاي مع الحليب الساخن وفي بعض الأحيان بيض مقلي أو مسلوق يُقدم مع الفول وذلك يوم الأحد (العطلة الأسبوعية). أما يوم الأربعاء فقد كان يومًا من أيام العروبة إذ يُقدَّم لنا الدّجاج في العشاء (السادسة والنصف مساءً) وكان علينا أن نختار بين القطع: إمّا قطعة من الصَّدر أو فخذًا وكانت تتم مقايضات بيننا وتنازلات ومُبادرات حسبما تُمليه (الحالة الرفاقية) بين الجالسين على المائدة. يرأس المائدة أحد الطلبة الكبار ويُسَّمى الكابتن Captain الذي يوزع أنصبة الطعام على الطلبة الستة الجالسين حول المائدة المستطيلة. ومن الملاحظات التي لا تغيب عن ذاكرتي أن الكابتن الذي يرأس مائدتنا (كان يضرب في الطعام كما يضرب وليّ السّوء في مال اليتيم) وكان يظفر بما يشتهي ويستحوذ على نصيب وافر من الفاصوليا الخضراء والبطاطس المقلية الروست بيف (عيني عينك) والمشكلة أنه لم تكن هناك (مؤسسات عدلية) للشكوى ورفع المظالم إليها والوقت ضيق ولم يكن أمامنا إلا القبول بـ(الوضع الراهن) واكتشفت فيما بعد أن القبول بالوضع الراهن ممكن أن يستمر معك طوال حياتك إلى أن تُسجى في قبرك! كل شيء في فيكتوريا كان مُنظمًا وجيدًا إلا الطعام رُبّما لأن ذوق الإنجليز في الطعام -خصوصًا في الخمسينيات- كان ذوقًا رديئًا للغاية. ويبدو أن هذا الأمر قد أجمع عليه الطلبة وكان لابد من (انتفاضة أو حركة تصحيحية) لتصحيح الوضع لذلك كنا نتحين الفُرصة

-عندما وصلنا للمرحلة الثانوية- لتنظيم حركة احتجاج صاخبة وجاءت المناسبة: أحد الطلبة وخلال وجبة الغداء عَثَر على ذُبابة في ثنايا المكرونة المسلوقة فاهتبلناها فرصة لفتح ملف الطعام في المدرسة فوضعنا الأمر أمام الطلبة الغافلين وطلبنا منهم الامتناع عن الأكل والاصطفاف والخروج من قاعة الطعام وحملنا الطبق الذي فيه المكرونة والذُبابة متجهين إلى مكتب الناظر Headmaster نصيح هاتفين: (كُليّة أَوَنْطَة عايْزين فلوسنا).

المشكلة كانت في الطلبة الصغار الذين كانوا يشكلون الأغلبية عادوا أدراجهم إلى قاعة الطعام لتكملة وجبة الغداء وتركونا نحن طلبة الثانوية (لم نتجاوز العشرات) نمضي إلى غرفة الناظر. وعندما وصلنا غرفة الناظر وبيدنا طبق المكرونة ذات الذُبابة لم يكن عددنا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، ومع ذلك استقبلنا الناظر بروح طيبة واستدعى المشرف على خدمات الطعام Catering في الكلية وكان اسمه د. سعودي- فيه شبه كبير من الممثل عباس فارس- وحثّه على النظر في شكوانا. ورافقنا د. سعودي إلى مطبخ الكلية الفسيح فورًا ليُطلعنا على إجراءات النظافة والصحة العامة المُتخذة هناك وفي الحقيقة لم تكن هذه نقطة اهتمامنا بل كنا نهدف من وراء هذه الضجة تحسين (نوعية) الطعام وليس فقط نظافته وهو ما لم يحدث وفاتتنا فرصة كبيرة.

وذهبنا إلى فصولنا جوعى ودون غداء لذلك كنا في مُقدمة طابور العشاء الذي يتجمع قبيل السادسة والنصف عند مدخل قاعة الطعام وسط شماتة جمهور الطلبة الصغار.

● يبدو أن الإنجليز الذين كانوا وقتها (1951) القوة المهيمنة على المنطقة يستهدفون من وراء هذه المدارس (مثل فيكتوريا) تخريج

نخبة elite اجتماعية وفكرية منفصلة نفسيًا وثقافيًا عن محيطها العربي والإسلامي لكي تستعين بها على إدارة المنطقة وفق ما تقتضيه المصالح البريطانية آنذاك. لذلك كان هناك في المدرسة نظام صارم بعدم التحدث باللغة العربية وعدم تشجيع أي علاقات روحية بين الطلبة والعمال المصريين العاملين في المدرسة: حراس وسفرجية- زُراع يشرفون على حدائق المدرسة الشاسعة (المدرسة تحتوي على أرض خضراء لا تقل عن 25 فدانًا). في يوم من الأيام أَعْطَيْتُ صبي الجنايني واسمه (سليم) وهو يقاربني في السِّن أعطيته قميصًا من قمصاني لأن قميصه قد بلي فوقف الصبي يشكرني وربما بالغ في شكري ففوجئت بتدخُّل مستر واتروورث Waterworth وهو الـــMaster- on- Duty أي المشرف وهو يناديني ويؤاخذني على تصرفي وينهرني ويقول لي: لا تخالطوهم ولا تتبادلوا معهم الحديث. ولم يترك أي فرصة لمناقشته في هذا الأمر. وقتها أصابتني الحيرة والتناقض الوجداني فها أنذا أُحسن إلى فقير بشكل فطري وها هي (سُلطة) المدرسة تنهاني عن ذلك. وكان هناك باص يأخذ من يرغب يوم الأحد إلى كنيسة في المعادي (لازالت الكنيسة قائمة قُبالة منزل السفير الإسرائيلي في المعادي) وكان هذا الأمر اختياريًا لحُسن الحظ. دفعني فضولي مرّة فذهبت ولم أُكررّها.

● لحسن الحظ أن عددًا غير قليل من الطلبة في فيكتوريا كانوا من الإخوة السعوديين ومن كبار الأُسر والعائلات السعودية المعروفة: الشربتلي، الُخريجي، بن لادن، بن زقر، جميل، أبو الحمايل، الثنيان، السليمان، العقيل، الفضل، المشيقح، القُصيبي، الزاهد وغيرهم لا أذكر.

وفي زيارة من زياراته (ربما 1955) للقاهرة - وكان يوم أحد - قيل لنا بأن العاهل السعودي المرحوم بإذن الله سعود بن عبد العزيز سيزور المدرسة

وعلينا التأهُّب لاستقباله والوفد الذي معه. وبعد أن وصل الزّوار وتجولوا في أرجاء المدرسة نبه بعض الخيرين في وفده - سعود بن عبد العزيز- إلى عدم وجود مسجد في المدرسة و إلى إهمال المدرسة (عمدًا) لهذا الأمر فبدأت الضغوط من الحكومة السعودية على إدارة المدرسة للعناية بهذا الأمر و يبدو أن المسجد الذي يقوم الآن في طرف (كلية النصر) الاسم الجديد لفيكتوريا كان بأموال سعودية فجزاهم الله كل خير. وحتى قبل قيام المسجد في فيكتوريا اجتهد الأستاذ المعلم التربوي د. يوسف عبد المعطي في قيادتنا إلى عريشة متواضعة تقع في طرف فناء المدرسة يؤمُّنا في الصلاة ويحثنا عليها ونحن لم نتجاوز العاشرة فكانت هذه التجربة الأولى في الانتماء الإسلامي على بصيرة و إرادة فجزى الله د. يوسف كل خير.

هيئة التدريس في فيكتوريا:

● هيئة التدريس في فيكتوريا كان معظمهم من الإنجليز: سميث Smith وواتروورث Waterworth وباوز Bowes وايتمان whiteman وجريفيث Griffith وهمفريز Humphreys ولو Lowe وديفيدز Davids وجوتليب GotLeib وتيدمارش Tidmarsh وغيرهم كثير.

ويلاحظ أن معظمهم يتمتعون بلياقة بدنية ملفتة للنظر بما يشير إلى احتمال أنهم من ذوي خلفية عسكرية وشغفهم بالنظام والانتظام discipline يؤكد ذلك فقد كان مستر لو Lowe لا يتردد في ضربنا على الركبة بمسطرته صائحًا فينا:

[you unruly lot] ومن ضمن الأنشطة الاختيارية يوم الأحد كان هناك ما يُسمى بـ desert walking حيث نتجمع على شكل طابور كل واحد فينا يتزود بزمزمية ماء مُثبتة في حزام البنطال ولوح شيكولاتة أو قطعة حلوى أخرى حسب التوزيع ومذكرة صغيرة وقلم رصاص ونمشي مسافات طويلة في الصحراء المؤدية إلى (أساس الجيش) خارج المعادي (حاليًا تُسمى منطقة القمر الصناعي) ونكتب ونُدوّن في المذكرة كل ملاحظاتنا على ما نشاهده في الطريق وعندما نعود إلى المدرسة يعرض كل واحد فينا ملاحظاته على المجموعة وفي هذا تدريب - لاشك- وتربية ورعاية لقوة الملاحظة والانتباه لدى الطالب.

فيكتوريا بين عهدين:

عايشت فيكتوريا عهدين: عهد الإدارة الإنجليزية- وعهد الإدارة المصرية:

فالإدارة الأولى كانت بالطبع قبل قيام الانقلاب العسكري 1952 الذي جاء بتنظيم الضباط الأحرار للحكم (محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادي وكمال حسين وأنور السادات وحسين الشافعي وجمال سالم وصلاح سالم وخالد محيي الدين وغيرهم) وحتى بعد قيام الانقلاب استمرت الإدارة الإنجليزية للمدرسة والمناهج الإنجليزية ولغة التدريس كانت الإنجليزية ويبدو أن هذه المرحلة لم يتقرر فيها الاتجاه السياسي النهائي للحكم الجديد الذي كان ميّالاً للتفاهم مع الانجليز والغرب عمومًا لكن الاعتداء الثلاثي العسكري على مصر (فرنسا- وبريطانيا- إسرائيل) حسم هذا الموضوع لصالح اتجاه الحكم الجديد نحو الكتلة الاشتراكية التي يرأسها يومذاك الاتحاد السوفييتي.

لذلك نلاحظ أنه فور وقوع الاعتداء الثلاثي وفي نفس اليوم دخلت قوات الأمن المصرية فيكتوريا واعتقلت جميع هيئة التدريس الإنجليزية في المدرسة وأودعتهم مبنى خارج المدرسة وأبقتهم هناك حتى تم ترحيلهم. ونظرًا لأجواء التوتر التي كانت تسود في مصر والعالم العربي - لا بل في العالم- جراء الاعتداء الثلاثي على مصر أغلقت السلطات المصرية فيكتوريا واضطر طلبتها مُغادرة مصر إلى بلادهم (السعودية- الكويت- لبنان- فلسطين- السودان- الأردن- اليمن وغيرها من البلاد) الالتحاق هناك في مدارسها لعام واحد فقط (العام الدراسي 1956 - 1957) وسط الأشواق العارمة لمصر والمعادي بالذات.

وباسترجاع الذاكرة أقول أن الإدارة الإنجليزية لفيكتوريا كانت تركز على النظام والانتظام، لدى الطالب وتطبيعه مع الثقافة الغربية عمومًا، والإنجليزية خصوصًا أكثر من تركيزها على التحصيل العلمي أو المحتوى العلمي الذي يتلقاه الطالب. حتى هيئة التدريس الإنجليز لم يكونوا - علميًا- بمستوى المناهج الموضوعة لتدريسها ولم يكونوا يتقنون عملية التدريس ونقل المحتوى العلمي للمواد إلى الطلبة - هكذا شعرت وأنا أسترجع الذاكرة. ولأن النظام السياسي الجديد في مصر بعد 1956 كان حريصًا لأن يظهر بالمظهر اللائق في تسلم ملف المدارس الخاصة - الإنجليزية بالذات (فيكتوريا -English Mission English School) فقد أفرزت وزارة التربية المصرية خيرة الكوادر العلمية المصرية لسد الفراغ الذي خلفه رحيل الإنجليز وللأمانة أقول بأن الكوادر العلمية المصرية التي قامت بتدريسنا في فيكتوريا ما بين 1956- 1961 كانت - حسب رأيي- أرفع مستوى - علميًّا- من هيئة التدريس الإنجليز أقول ذلك من حيث التجربة الشخصية

حيث كنت طالبًا في ظل الإدارتين وهيئتي التدريس. لدي شعور قوي بأن عددًا غير قليل من هيئة التدريس الإنجليز لم يكونوا تربويين في الأساس ولم يكن (التعليم) هاجسهم الأساس وكانت عملية (التطبيع الثقافي مع القيم الغربية) عن طريق (النظام اليومي الصارم) هي هاجسهم. حتى المنهج الدراسي والمقررات كانت مناهج ومقررات إنجليزية بحتة: جغرافية أوروبا والجزر البريطانية وتاريخ أوروبا والجزر البريطانية The Lord & vassal والأدب الإنجليزي البحت (شكسبير وتوماس هاردي وروذورث) درسنا أصول مسرحيات شكسبير originals مثل ماكبث Macbeth وتاجر البندقية Merchant of Venice والملك لير king Lear. وكان هناك نشاط مسرحي في الكلية تحت مسمى (نادي الدراما Drama Club) تُشرف عليه المدرسة السيدة جاردنر Gardener ذات المزاج العصبي والنزعة الرومانسية يظهر ذلك عندما تغرورق عيناها وهي تقرأ لنا بصوت عالٍ مقاطع من ماكبث Macbeth أو عُطْيل Othello قررت جاردنر أن نقدم في نهاية العام الدراسي وعلى مسرح فيكتوريا (تاجر البندقية The Merchant of Venice) ولسبب لا أدريه أسندت إلي دور اليهودي المرابي شايلوك Shylock (تتخلل معظم مسرحيات شكسبير إشارات سلبية وانتقادية لليهود) وأذكر أنني تقمصت الدور جيدًا وأن جاردنر هنأتني على ذلك وأَصَرَّت على صورة مشتركة مع (شايلوك الأحدب الكئيب) للذكرى.

وبعد الصورة سألتني بمنتهى الجدية ?would you like to be an actor

فأجبتها بنفس الجدية: according to Shakespeare: life is a theater and we are all actors. It is predestined

فضحكت وقالت: right you are, shylock

● الحياة في السكن الداخلي للمدرسة تفرض على الطالب أن يبتكر وسائل تعويضية كثيرة للإشباع الروحي والعاطفي ووسائل كثيرة للدفاع عن نفسه. والأجواء الطلابية من الممكن أن تكون بالغة القسوة إذ (القوي يأكل الضعيف) وكم من طالب شاحط عريض المنكبين يتفوق على أقرانه بكرة القدم - مثلاً- ولكنه أبلد من البلادة في الفيزياء أو الكيمياء أو غيرها من العلوم سنلاحظ أنه يتحول إلى شقي بلطجي bully يتجاسر على الضعفاء من الطلبة بالإهانة والضرب أحيانًا والاستهتار بهم أحيانًا أخرى دون مراعاة لأي قيمة أخلاقية. وكان أحدهم - في فيكتوريا- ومن الطلبة الخارجية Day - boys- يحمل كل خصائص الـ bully: نجم في كرة القدم - قوي البنية - عريض المنكبين- بذيء في ذوقه وفي لفظه - كثير العدوان على ضعفاء الطلبة.

حَصَلت بينه وبين أحد أقربائنا مُشادّة فما كان منه إلا أن أشبع قريبنا صفعًا و إهانة وبعدها قال له: إنتو شوية بدو عندكو فلوس؛ وماعندكوش أي حاجة تانية.

شعرت وأنا أستمع لقصة قريبنا بإحساس حارق بالمهانة، حان وقت الغداء ولم أستطع أن آكل غدائي رغم الجوع، وددت لو أن الأرض تنشق وتبلعني خير لي من أن أرى هذا الـ bully يسرح ويمرح بلا رادع ولا عقوبة- أذكر أنني ركضت بكل قوتي في فناء المدرسة إلى أن وصلت إلى الطرف البعيد من الفناء حيث حلبة الملاكمة boxing ring ووقفت هناك أحوم حول الحلبة وأنظر إليها وحالي يصرخ صرخة إبراهيم حَرْدللّو (ملعون أبوكي بَلَد). وقررت - وكان عمري وقتها لا يتعدى الخامسة عشرة- أن اصطاد (ح. ح) الفتوة القبضاي الشقي القوي

المفتول العضلات الـ bully الذي يخاف منه الطلبة - كل الطلبة- قررت أنا الضئيل البُنية ضعيفها القصير النحيل قررت أن أعطي (ح. ح) «علقة سخنة لا ينساها مدى الحياة على أن تترك علامة في وجهه تُذكِّره بالمناسبة» وقررت أن يكون ذلك أمام كل الطلبة - وفي ساعة الذروة rush hour قبالة المقصف tuck shop الساعة العاشرة والنصف صباحًا. لكن كيف؟ بدأت أتساءل. وسرحت في الخيال لأن الخيال في أحيان كثيرة سلوى وعلاج مؤقت أو حل مؤقت لمشكلة قائمة. تخيلت أني طويل شاحط مثل (ح. ح) مفتول العضلات وذا لثغة خفيفة وعيون شاحبة مثل عيون الخروف وشفاة رقيقة تتحرك كاليرقانة تمامًا مثل (ح. ح) وأكتاف عريضة وابتسامة ساخرة باردة شريرة كالتي يتقنها عادل أدهم، تخيلت كل ذلك وكأني طرت ووقفت على سطح حلبة الملاكمة ورنَّ جرس البدء بالنزال ولم يكن داخل الحلبة سوى (ح. ح) وأنا ولا وجود للحكَم يعني يا قاتل يا مقتول: كأنّه تضِرّع أن أَدَعه وشأنه، (دي آخر مرّة، خلاص، والله العظيم دي آخر مرة) عادل أدهم مرة أخرى، ثم لكمته لكمة قاضية فانطرح أرضًا يشرشر الدم القاني من أنفه المكسور الذي أنفرش بين خديه. ضج جمهور الطلبة بالتصفيق والهتاف. (إدّيلو برافو) صاح أحدهم. فجأة اختفت الصورة واختفى الصوت وأدركت أن الأمر كان خيالًا في خيال وأن (ح. ح) الbully حقيقة ماثلة بين الطلبة يسرح ويمرح لا رادع له ولا عقوبة وأن الأمر يحتاج إلى تخطيط وتآمر بين (مجموعة) من الطلبة (للإطاحة) بالبلطجي. فإذن المطلوب: تخطيط (واتفاق جنائي) ومجموعة. الخطوة الأولى الملحة كانت البحث عن المجموعة التي تتوفر لديها (الإرادة العامة) لمواجهة البلطجي (ح. ح). فقط ثلاثة لا أكثر تكفي للقيام بالمهمة. واحد يُمسك بيديه من الخلف وثان يحتضن قدميه بقوة

ويمنعها من الحركة. وثالث يتسلح بقنينة السيترو Citro بباشر بتهشيم أنف البلطجي. لم أكن أتصور بأن الأمر بهذه البساطة.

ثمة حاجز نفسي ينبغي تحطيمه للمباشرة في القضاء على البلطجي في كل مكان وعلى أي صعيد. البلطجي لا يستند على (شرعية) ولا على (مُعطيات موضوعية) إنه يستند على (هيبة) ميثولوجية سرعان ما تذوب تحت مطرقة (الإرادة العامة) أو تحت مطرقة (القوة المفرطة). ولأننا بلا هيبة -إذ الهيبة تتراكم على مدى زمني- كان لابد من الاعتماد على (القوة المفرطة). كان يترنح في مَمَر (المكتبة) ويتحرش بالداخلين والخارجين إذ يضيق بالطلبة النُّجباء الذين يستعيرون الكُتُب فـ(دّمهم ثقيل) برأيه. على وجل قربت منه وبيدي قنينة السيترو: ممكن يا كابتن أكلمك في موضوع بس برّه الكوريدور؟ أشار إلى زُمله من الطلبة المتجهين إلى المكتبة قائلاً: بالذمة مش دمهم ثقيل؟ وعايز مني إيه يا شاطر أنت يا بدوي؟ قلت له: كلمتين يا كابتن بس بره الكوريدور. «طَبْ غور قدامي وأنا جاي لك»؛ قالها بعنجهيته المعهودة. انتظرته أسفل السِّلم المؤدى إلى المقصف (ميدان ضرب النار). عندما ظهر من الباب الزجاجي أسفل السِّلم قلت له؟ صحيح أنت ضربت فلان وشتمته وقلت له إنتو شوية بدو عندكو فلوس؟ ولحسن الحظ كان يترنح متوجهًا إلى المقصف حيث أعضاء (الفرسان الثلاثةThe Three Musketeers) كانوا في استقباله. قال: أيوه شتمته وضربته وحشتمك وأضربك إنت كمان. رافعًا يده مهددًا فعاجله أحدهم بأن أمسك بيديه من خلف واحتضن الآخر قدميه وبادرته بثلاث ضربات قاضية على الأنف بقنينة السيترو فشرشر الدَّم من أنفه المكسور وسقط البلطجي أمام الطلبة - كل الطلبة- الذين عبروا عن سعادتهم وفي نفس الوقت عن رعبهم من المشهد غير المتوقع العملية لم

تستغرق أكثر من دقيقة واحدة. إنها المفاجأة. لكنها قلبت (ميزان القوى) على الأرض رأسًا على عقب وأخذ البلطجي يتلوى و يصيح من الألم. فحمله مايك mike وأحد الفراشين إلى الـ Sick flat (الوحدة الطبية) في المدرسة. أما أنا فشعرت بارتياح غريب يتملكني. ولم يعد أي شيء يهمني بعدها.

المهم أننا لقنا البلطجي درسًا لن ينساه. خلال ساعات وصلت سيارة ذوي البلطجي: امرأة تتقدم الرجل وهذا عيب عندنا نحن البدو وتمشي بعصبية وتتوعد (حوديكو في داهية) والرجل يهذي من ورائها. مكثوا في الوحدة الطبية وقتًا طويلاً ثم خرجوا منها وبرفقتهما ابنهما البلطجي يملأ وجهه الشاش يمشي مستندًا على السائق. كدت أطير من الفرح لهذا المشهد.

(هذا يوم من أيام العروبة) كما يقول شكري القوتلي يرحمه الله لم أكن أعلم - وقتها- أن البلطجي في العالم العربي يتحول إلى دولة وحكومة وسلطة باطشة وأن قنينة السيترو لا تكفي لمواجهتها. وأن الأمر جلل وليس بالهزل. وأن البلطجة كثقافة جزء من نظام عام يشمل فيما يشمل المدرسة كمؤسسة تتبع النظام العام/. استدعاني مكتب الناظر. طرقت الباب فأذن لي بالدخول وفور دخولي قال لي: [you are expelled From School] وعندما سألته عن السبب قال لي: [Because you are violent & you hurt one of the students you pause a danger in the school]]

فقلت له: ولماذا لم تعتبر ح. ح وسلوكه عنيفًا يشكل خطرًا على الطلبة بالرغم من كثرة شكاوى الطلبة التي تصل إلى مكتبك عنه؟

فقال: are you telling me how to run this school?

فقلت: are you telling me that all I have to do is to lie down on my back and let this bully kick us right left?

فقال بصوت عال وبعصبية: out you are expelled I don't want to see you in this school until the finals.

فخرجت من مكتبه حزينًا ليس بسبب فصلي من المدرسة فأنا لا أشك أني أستحق الفصل بل بسبب انحياز الناظر للبلطجي. عفوًا لا أظن ذلك فالناظر كان دائمًا يتمتع بشخصية أبوية بطريركية متوازنة ورءوفة ربما تفسير موقفه أنه كان مستاء من معالجتي (العنيفة) نسبيًا لموضوع (ح. ح) صعدت إلى العنبر dormitory لأخذ حاجياتي وحقيبتي وساعدني عم حسين بواب فيكتوريا في حملها استضافني ابن عمي - الذي بدوره كان طالبًا في جامعة القاهرة- وكان خلال فترة الاستضافة التي طالت لبضعة أسابيع في غاية النُّبل والكرم والأريحية. وبالرغم من تحذير الناظر ألا تطئ قدماي أرض المدرسة امتطيت الحافلة رقم 132 (أبو رجيلة) والتي تتحرك من (المجمع) في ميدان التحرير متجهة إلى المعادي وذلك لكي أطلع من بعض الأصدقاء على المواضيع التي غطوها في المنهج المدرسي لكي ألاحقها بالمراجعة.

تسلَّلتُ من ثُقب في الجدار الزراعي للمدرسة كنا أحيانًا نعبر من خلاله في حالة (الزَوَغان) من المدرسة وفور أن رأيت - على بُعد- مشهد فناء المدرسة الفسيح الذي يضجّ بحركة الطلبة شعرت بحنين غريب يتملكني وعبرت ملعب الكرة الفسيح وازددت قربًا من جوار المقصف ولأنني لم أكن أرتدي اليونيفورم (الزي الموحد للمدرسة) كان من السهولة أن يلمحني الأصدقاء المقربون. ها هو (حمدي) يرتع ويلعب وذاك (ممدوح، يقضم لفافة الجبنة الرومي بدقته المعهودة وذا (سمير) (لعيب الكورة) وهو يركل كرة التنس برشاقته ومهارته وهذا (يوسف) و(عبد الرحمن) و(أحمد) و(عبد الله) لمحوني فهبوا إلي يسلمون ويرحبون وكلهم من أبناء الجزيرة العربية

ويسألون: إمتى حترجع؟ وبعد - أن جلست مع اثنين من زملائي في الفصل (جلسة عمل) حددا لي المواضيع التي غطوها خلال غيابي لملاحقتها بالمراجعة رأيت أن انسحب من فناء المدرسة لئلا يلمحني الناظر أو أحد المدرسين فتتعقد الأمور. وبعد أن سلمت على زملائي للمغادرة أصر أحدهم أن يضيفني من المقصف وخلال تدافع التلاميذ قبالة المقصف رأيته - البلطجي ما غيره يتحدث إلى عم شاكر الجنايني الضئيل النحيل ذي الصوت الأجش والشُّحْنة السينائية والذي كنا نلقبه - تمازحًا وتشاقيًا- بالغوريلا. وكان البلطجي يتحدث إليه بكل أدب وانخفاض صوت وكانت حلقات ذات لون أرجواني تحيط عيني البلطجي مما يشير إلى نزيف داخلي إثر الضربات الثلاث العنيفة بقنينة السيترو. وقفت أتأمل المشهد: البلطجي تغير تمامًا. كان في هذه الساعة العاشرة والنصف يتوسط الطلبة عند رخامة المقصف يسخر من هذا ويصفع ذاك ويدفع هذا ويركل ذاك ويملأ شدقيه بالجبنة الرومي والعيش الفينو الطازج ها هو ينسحب وينكفئ ويترك (الرعية) بسلام ويبدو أن الكل ارتاح من البلطجي: الطلبة وإدارة المدرسة بما فيها الناظر والمدرسون وحتى مايك صاحب المقصف الذي ما إن رآني - في حشد الطلبة- أهداني لوح شيكولاته كورونا Corona وهز رأسه مبتسمًا مشيرًا إلى البلطجي الذي كان يتشاغل بالحديث مع عم شاكر. حتى مايك ارتاح منه. وفجأة لمحني البلطجي وظننت أنه سيتجه إلي ويشبعني ضربًا وصفعًا وركلاً ولكمًا إلا أن المفاجأة كانت أني لاحظت أن البلطجي يتحاشى النظر إلي، لا بل إنه أدار وجهه تمامًا عني ربما حتى لا أرى أثر (ذات السلاسل!!) عليه استأذنت من زملائي وزودتهم برقم هاتفي وعنواني في الدقي عمارة الأورمان فوق صيدلية منير وعبرت فناء المدرسة أقضم لوح الكورونا وأنا منشرح النفس والخاطر

وأخذت الأوتوبيس 132 عائدًا إلى ميدان التحرير. وبعد أن هدأت النفوس وتدخلات حميدة من ابن عمي النبيل الكريم لدى الناظر سمح لي الأخير بالعودة إلى المدرسة ومزاولة حياتي اليومية هناك بشكل طبيعي.

● من عيوب الإدارة المصرية لفيكتوريا- أي بعد -1956 هو المبالغة نحو التوجيه السياسي لنا كطلبة. كان نظام عبد الناصر ذا وطأة شديدة علينا كطلبة. نبدأ بطابور الصباح (تحيا الجمهورية العربية المتحدة) كل صباح لابد من هذا الهتاف. مع الوقت والتكرار والرتابة فَقَد معناه ومع ذلك استمر التوجيه كما هو. ولأن نظام عبد الناصر تحالف مع روسيا سنلاحظ أن خطاب التعليم في المدرسة -وعلى مستوى الجمهورية- كان دائم الإشادة بروسيا وكان مدرس الجغرافيا الألثغ في فصلنا دائم الحديث عن (الفياح اليوسي) أي: الفلاح الروسي. أما مُقرَّر (التربية العسكرية) الذي فرضته وزارة التربية والتعليم في فيكتوريا ومدارس الجمهورية فكان لاشك من حيث (الفكرة) في الاتجاه الصحيح لكن كان مسخرة من حيث (التطبيق). فلم يكن القائمون على الموضوع كله يتحلون بالجدية الكافية مما انعكس -للأسف- على مدى جدية الطلبة وتحولت (حصة) التربية العسكرية إلى (ضحك في ضحك) خصوصًا بعد أن أخذونا بالباصات من المعادي في الصباح الباكر إلى ميدان عابدين في وسط القاهرة لنجد هناك الألوف من الطلبة وقال لنا (العميد سعد): «حَنِستنى هنا لغاية ما يجي الريس ويوجه لنا كلمة». وانتظرنا وطال الانتظار لساعات ونحن وقوف تحت الشمس وفي الزحام الشديد لا ماء ولا طعام ولا ظل حتى ظَهَرُ المغني (محمد عبد الوهاب) في بلكون قصر عابدين وهو يرتدي البذة العسكرية وقال لنا عبر الميكرفون: أنا حغني وانتو تردوا ورايا. وبدأ (بلادي بلادي بلادي لك حبي

وفؤادي) ورددنا وراءه مرة ومرتين وثلاث حتى مللنا وحتى مل هو ثم تقريبًا الساعة الثالثة بعد الظهر توقف فجأة عبد الوهاب عن الغناء ولاحظنا حركة غير عادية في البلكون وظهر جمال عبد الناصر في البلكون يلوح لنا نحن الطلبة فضج الطلبة بالتصفيق والصفير والهتاف إلى حد هستيري وعبد الناصر يضحك (يبدو أن الرئيس اتغدى وارتاح كويس قبل المجيء إلينا لأنه كان مليئًا بالحيوية) أما نحن فوجدنا في ظهور عبد الناصر على البلكون وسيلة هروب جيدة من مصيدة الشمس والتَّعب والملل فانخرطنا في الزعيق والهتاف وعبد الناصر يضحك (لا أدري لنا أم علينا) وفجأة يشير إلينا عبد الحميد السراج بالهدوء والسكوت لأن الرئيس قرر أخيرًا أن يتكلم وتكلم الرئيس وأطال كالعادة ومضينا سحابة العصر كله: هو يتكلم ونحن نهتف حتى بلغ فينا العطش والتعب مبلغه وانتهت الحفلة بمغادرة عبد الناصر الذي تركنا نتبين طريقنا إلى المعادي عائدين إلى فيكتوريا وقد أوشك الظلام ولم نجد الباصات التي أوصلتنا إلى ميدان عابدين فاضطررنا أن نمشي إلى محطة (باب اللوق، لامتطاء القطار إلى المعادي وبعض منا فضل (أبو رجيلة) الذي ينطلق من ميدان التحرير قرب المجمع. ويومها أدركت وأيقنت أن مقرر (التربية العسكرية) كان الهدف منه (سياسيًا) مائة بالمائة وشعرت بالقرف من عبد الناصر والحاشية المحيطة به والقرف من نفسي ومن الطلبة لأننا احتشدنا في ميدان عابدين نهتف له. وبدأت تنمو في داخلي- منذ ذلك اليوم- كراهية راسخة (للزعيم الفرد) الذي يكاد يحترق من الأضواء المحيطة به ولم أستطع مقاومة شعور يدفعني إلى الاعتقاد بوجود أوجه شبه بين (ح.ح) وعبد الناصر: الأول على مستوى فيكتوريا والثاني على مستوى الجمهورية - واللبيب بالإشارة يفهم. مثال صغير فتحي سُفرجي في فيكتوريا- لا أدري

الآن إذا كان ميتًا أم حيًا- سألني عن «مشوار عابدين» وهو يوزع أطباق المكرونة على الطاولات فقلت له: يا ريتني ما رُحت لَطَعونا في عابدين واقفين بالشمس يمكن خمس ساعات على بال ما ظهر الريس اللي قعد يتكلم مش أقل من ساعتين يبقوا سَبَع ساعات واقفين بلا ميّة ولا أكل في الشمس إيه الافترا ده يا فتحي؟ ابتسم فتحي ابتسامة حزينة وقال: الدور علينا بكرة. في الغد جاءت إلى فيكتوريا ثلاث باصات تحمل كل (العمال؟) للتصويت في انتخابات العمال في شبرا الخيمة لقائمة مرشحي النظام أخبرني فتحي وهو يبكي مساء ذلك اليوم عندما عاد من مشوار شبرا. قال: أخدونا عشان نبصم مش عشان ننتخب ويا ويلو اللي يسأل ليه؟ وأسأل: أليست هذه بلطجة على مستوى النظام السياسي الذي كأن يرأسه عبد الناصر؟

● غريبة تلك الحميمية التي تطبع العلاقات الطلابية. ذلك الدفء والإخلاص والتجرد والإحساس بالمعية togetherness الذي يشد بنيان الصلة والتواصل بين شلل الطلبة. ثمة أصدقاء من الطلبة وخلال المراحل الدراسية أكاد أعتبرهم أقرب من الأقرباء. لكن غريبًا أيضًا أن تتبخر كل هذه الحميمية مع مضي السنين وتقدم العمر وتغير الولاءات وبروز المصالح إلى السطح. قليل وقليل جدًا من الناس يُحافظون على حميمية العلاقات ودفئها مع بعضهم البعض. وكثير من الناس يتظاهرون بأنه ليست ثمة مشكلة في هذا الموضوع وعلى هذا الصعيد، لكن عندما تتاح لهم الفرصة - وفي خلوة- للحديث عن هذا الموضوع تكتشف (المخزون) القبيح الذي تنطوي عليه نفوسهم. بدافع الحميمية والصداقة والولاء لها قد تفتح بيتك له وتحسن وفادته وتكرم مثواه وربما تُسّر له ببعض الأمور الخاصة بك ظنًا بك أنه يستحق الثقة فإذا بك تكتشف أنه - في غيبتك- يهزأ بك في المجالس ويتهكم

عليك ويفتري ويغتاب ويثير الشبهات حولك ومع ذلك يحافظ على علاقته بك ويداوم على الاتصال بك. لا أدري كيف أفسِّر علاقة كتلك؟ العلاقة الطبيعية بين الأفراد - وهذا يشمل القرابات- إمّا أن تكون مبنية على (الحب المتبادل) أو (الاحترام المتبادل). ومن ملاحظاتي في هذا المجال أنه إذا انتفى الحب المتبادل بين الأفراد فعلى الأقل - حتى تكون العلاقة متوازنة ذات معنى- ينبغي أن يتوفر (الاحترام المتبادل): احترام الصغير للكبير ومبادرة الصغير بالتحية للكبير. أما إذا انتفى هذا وذاك أي الحب المتبادل أو الاحترام المتبادل فلا معنى يبقى للعلاقة بل إنها علاقة يشوبها الكثير من الاستفزاز والتحريض. ولاحظت أيضًا أن كثيرًا من الناس لا مانع عندهم من استمرار العلاقة حتى لو غاب الحب المتبادل أو الاحترام المتبادل وهذا ما لا أستطيع هضمه ولا قبوله. وهناك علاقات بين الناس تستمر (على حَرْف) -حسب اللفظ القرآني- أي على حافة هاوية وكأن الطرف الثاني ينتظر منك أقل هفوة لكي يشهر سيفه بوجهك. وهذه علاقة لا أظن أنها جديرة بالاهتمام أو الاستمرار.

وهناك علاقة في مهب الريح خصوصًا وأن مجتمعاتنا تكثر فيها الغيبة والهمس واللمز gossip بحيث أصبحت ما يُسمّى بأجهزة الأمن تلجأ إلى تحريك حملات الهمس ضد المعارضين السياسيين whisper Campaigns فهذه الحملات والنقولات والتشويهات والإشاعات كم تؤثر على العلاقات الاجتماعية للمعارضين؟ لا شك أن أثرها كبير خصوصًا وأن عملاء ما يُسمّى بالأجهزة الأمنية منتشرون في كل الشقوق الاجتماعية. حملات الهمس ضد المعارضين السياسيين في مجتمعاتنا العربية البسيطة الساذجة من أمضى وأخطر الأسلحة التي تلجأ إليها الأنظمة السياسية العربية المهزومة على كل

صعيد عسكري - وسياسي واجتماعي وتنموي- واقتصادي إذ إنها أنظمة بلا إنجاز ولا مشاريع ولا انتصارات ولا نجاحات ولا مصداقية وجُل ما تهدف إليه هو البقاء والاستمرار على حساب الأمة ومستقبلها وأجيالها المنكوبة.

وفي يونيو 1961 جلسنا لأداء الامتحانات النهائية في فيكتوريا ولله الحمد كان التوفيق والحصول على G.C.E الثانوية العامة الإنجليزية وعدنا إلى الكويت وودعنا المعادي وفيكتوريا ومصر الحبيبة إلى نفسي التي قضيت فيها عشر سنوات 1951 - 1961 في كلية فيكتوريا المعادي من المرحلة الابتدائية والإعدادية ووصولاً إلى الثانوية العامة.

مانشستر Manchester
1962 - 1961

● فور عودتي من المعادي الخضراء الجميلة الهادئة في يونيو 1961 إلى الكويت اللافحة في حرها خصوصًا في ذلك الشهر من السنة، راجعت (دائرة المعارف) قبل أن تصبح وزارة وذلك طلبًا للابتعاث الخارجي لدراسة الطب في إنجلترا. كان أملي أن أصبح طبيبًا وما زلت أغبط الأطباء عندما أحتك بهم اجتماعيًا.

سارت الأمور الإدارية للحصول على بعثة بيسر وخلال أيام وبتشجيع من رجالات الكويت الأوائل في دائرة المعارف وخصوصًا الأستاذ (فيصل الصالح والأستاذ عبد الله المفرج) كنت أمتطي الطائرة متجهًا إلى لندن بنية دراسة الطب هناك. ولحسن حظي لم أكن وحدي في هذه الرحلة بل كان معي زميلي في فيكتوريا كوليج هلال. س. استقبلنا في مطار لندن مندوب مكتب الكويت الثقافي آنذاك وأخذنا إلى فندق صغير في (جلوستر يليس Gloucester place W I) وبعد أن اطمئن إلى استقرارنا في غرفة الفندق دلنا على المكتب الثقافي في (بيكر ستريت Baker Street) آنذاك والذي هو قريب من الفندق. وفي صباح الغد زارنا مندوب المكتب الثقافي ورافقنا إلى متجر (أوستن ريد Austin reed) في شارع ريجنت regent st ليشتري لنا طبعا على حساب المكتب الثقافي كل ما نحتاجه من ملابس وفوط ومناديل وأحذية وشنط دراسية وربطات عنق وغير ذلك وهذه إشارة مهمة لا تغيب

عن اللبيب بوجود (الدولة الخيرة welfare state) في الكويت آنذاك وفي مطالع الستينيات 1961. بعد ذلك أخذنا المندوب إلى محطة القطار للمغادرة إلى مدينة مانشستر manchester مقر الدراسة. وفي محطة مانشستر استقبلنا المستر كليتون clayton مندوب المكتب الثقافي وقد كان رجلا قصيرًا. أصلع ودودًا يميل إلى البدانة قال لنا سآخذكم الآن إلى فندق قريب من كليتكم ريثما نعثر لكم على سكن دائم وملائم. ترجلنا من سيارة المستر كلينتون ودلفنا إلى قاعة الفندق Glenfield hotel وسط إعجاب المستر كلينتون بلغتنا الإنجليزية الرصينة فأخبرناه عن خلفية (مدرسة فيكتوريا في المعادي) فقال: no wonder ودعنا المستر كلينتون بعد أن أوصى صاحبة الفندق المرأة العجوز فارعة الطول صارمة الملامح فظة المعاملة علينا فنظرت إلينا نظرة فاحصة لا تخلو من عنصرية. صعدنا إلى غرفتنا وقد أنهكنا التعب (هلال وأنا) من رحلة القطار ونمنا تلك الليلة كما ينام الأطفال. وفي الصباح الباكر أيقظنا الجوع فبكرنا للذهاب إلى صالة الإفطار الصباحي في الطابق الأرضي من الفندق. وبعد أن طلبنا إفطارنا وشرعنا في التهامة حدث ما لم يكن في الحسبان العجوز الفظة الفارعة صاحبة الفندق تدخل إلى صالة الإفطار بمعية كلبها المتهدل اللسان الذي ينظر يمنة ويسرة وكأنه يبحث عن طريدة. ولسبب لاندريه هرول باتجاه طاولتنا فأوجست في نفسي خيفة وعندما اقترب مني أشرت إليه أن يبتعد عنا صائحا: go away فتطاير الشرر من عين العجوز الفظة وصاحت بي: how dare you وسارعت بالاتصال بمستر كليتون وطلبت منه المجئ فورًا و get your boys out of my hotel السبب لأني نهرت كلبها.

هذا أول درس تلقيته في مانشستر وفعلا جاء مستر كليتون وأخذنا

وحقائبنا من الفندق وذهب بنا إلى حيّ أولد ترافورد old trafford في مانشستر حيث مقر نادي مانشستر يونايتد وفي شارع واريك رود warwick rd توقفت سيارة مستر كليتون عند أحد المنازل. وترجلنا حاملين حقائبنا وضغط الجرس ففتحت الباب امرأة بدينه عجوز تتصنع الابتسام، وطلبت منا الدخول ووضع حقائبنا في الغرفة المخصصة لنا في الطابق الأعلى من المنزل ثم دعتنا لاحتساء الشاي في غرفة التلفاز في الطابق الأرضي.. انطباعي عن هذه العجوز قطعا أفضل من تلك التي طردتنا من فندقها، بسبب الكلب. أوصاها كليتون علينا وسألها: هل لديك كلب في هذا المنزل؟ قالت: god forbid فشعرت بقرب ودفء معنوي تجاهها.

التفت إلى كليتون وقال بُخبث انجليزي: أظن إذن يا عبد الله أن هذا المكان أنسب من فندق جلينفيلد glenfield فضحك هلال بأسفل وجهه كالعادة وهو ينظر إلي. وودعنا كليتون عند باب المنزل قائلا:be good صعدنا إلى غرفتنا وبدأنا نفتح الحقائب ونصفف. حاجياتنا في مخازن الغرفة وفاحت رائحة الطيب والبخور من الحقيبة وشعرت بغصة وحنين للكويت لم أشعر بمثله من قبل بين ثنايا الملابس في الحقيبة وجدت علبة (كيتكات) وقنينة (هوت سوس) لم تكن الكلية stretford technical college التي سندرس فيها وتؤهلنا الدخول كلية الطب في جامعة مانشستر قريبة من منزلنا. ولذا كان لابد من التفكير بالمواصلات. هلال حل الموضوع من أساسه فاشترى (فيسبا) vespa أي motorcycle أما أنا فتريثت قليلا واشتريت دراجة عادية ومستعملة من طالب نيجيري كان قد فرغ من الدراسة وعلى وشك المغادرة إلى بلده ولذا كان التفاوض معه على سعر البيع أمرًا سهلا فخسفت بسعرها خسفًا اعترف أنني سببت مشكلة لهلال فعندما يمتطي

(الفيسبا) يخترق الشوارع بسرعة مذهلة وينتظرني على الطريق وأصل إليه بطريقة سلحفائية وقد أصابه الملل وفي النهاية كان يقترح على أن (يردفني) وترك دراجتي في البيت في واريك رود. Worwick Rd القريب جدا من نادي مانشستر يونايتد Manchester united كنا نسمع من بيتنا ذلك هتاف الجماهير لجورج بيست George Best وبوبي تشارلتون Babby Charlton.

الحياة الدراسية في الكلية كانت عادية كنا نتلقى المحاضرات في الكيمياء chemisty والأحياء biology والطبيعة physics وكنا - هلال وأنا- معتادين على المثابرة على الدراسة وأداء واجباتنا المنزلية homework حتى خلال عطلة الأسبوع (السبت والأحد) وزارنا المستر كليتون زيارة مفاجئة خلال ويك إند وجدنا منكبين على كتبنا فسر أيما سرور وذكر ذلك في تقرير له رفعه إلى المكتب الثقافي في بيكر ستريت. وكل شيء كان على ما يرام. ولمعالجة حالة الرتابة في حياتنا اليومية وضغط الدراسة انضممت إلى نادي رياضي غير بعيد عنا فيه كل أنواع الرياضات تقريبا كرة الطاولة - الكرة الطائرة - السلة - الشطرنج - التنس - السباحة وغير ذلك وكان هذا النادي برعاية (مجلس الكنائس العالمي) وفيه كافيتريا تقدم الوجبات الثلاث يوميًا وبأسعار متواضعة وهناك مجال واسع للاختيار بين الأطباق النباتية vegetarian التي تولعت بها آنذاك. وكانت الكنيسة تنتهز فرصة تواجد عدد غير قليل من الطلبة العرب تعقد ندوات حول مقارنة الأديان لتبشرنا بالمسيحية ونشارك في هذه الندوات ونحولها إلى تبشير بالإسلام والعروبة.

وبمحض الصدفة وأنا في طريق خروجي من النادي ymca

Young men's Christian association

دخلت مكتبة رثة لبيع الكتب المستعملة (used) لافتة على باب الدكانة جال نظري في العناوين وإذا بكراسة صغيرة لبرتراند رسل Bertrand Russell بعنوان: why I'am not a Christian

(لماذا أنا لست مسيحيًا) اشتريت الكراسة وانكببت عليها في حديقة عامة قريبة من المكتبة كان رسل RUSSEL في هذه الكراسة يشرح سبب إلحاده. قرأتها مرة أخرى في الغرفة في السكن. أصابني الدوار. وأثارت هذه الكراسة لديَّ أسئلة كبيرة للغاية وخطرة. وقلت لنفسي: إذا كان هذا العجوز ينشر كراسة كهذه يشرح (عقيدته) في الإلحاد، فهل أعرف أنا لماذا أنا مسلم؟ أصابني الدوار ومسحة من الحزن وصلت حد الكآبة. وأخذت أقرأ وأقرأ ما تتيحه لي مكتبات مانشستر حول الموضوع. وبحثا عن الأمن النفسي والثقافي سألت عن مسجد مانشستر وذهبت إلى هناك وتأملت في وجوه المصلين هناك وسُحنتهم الشرقية وصليت معهم لم أتمالك نفسي وبكيت وتخيلت رسل russel النحيل الأشيب واقفًا عند باب المسجد: ينظر إلي ويسأل ماذا أنت فاعل؟ انشغل بالي وأصابني الأرق وتشبثت بالمعوذات والفاتحة وقصار السور ولم أعد أشتهي الطعام ولا الابتسام. وقررت أن أعتني بهذا السؤال: لماذا أنت مسلم يا عبد الله؟ لأسابيع كان هذا السؤال يلح علي انشرح صدري لأن أترك الدراسة في مانشستر وأعود إلى الشرق لدراسة الإسلام، لا بل الانضمام إلى كلية من كليات الشريعة الإسلامية (القاهرة - دمشق - تونس مثلا) وبدون تردد ولا تلعثم أخبرت هلال بقراري الذي أحزنه كثيرًا وأوصلني إلى محطة القطار وودعني وداعا دافئًا. وفي لندن ذهبت إلى المكتب الثقافي في بيكر ستريت وفوجئ الملحق الثقافي بقراري وحاول جهده أن يثنيني ونصحني بالعودة إلى مانشستر (مقر بعثتي) وأخبرني

أن التقارير الدراسية عنا (هلال وأنا) ممتازة و إذا عدت إلى الكويت بهذه الطريقة سوف تفصلني (دائرة المعارف) قبل أن تصبح وزارة - من البعثة. قلت له: فليفعلوا ما بدا لهم أريد العودة إلى الكويت وأريد أن أدرس الإسلام والشريعة الإسلامية. قال لي ناصحا: تستطيع أن تفعل ذلك وأنت هنا ولا داعي لقطع دراستك العلمية. و إزاء إصراري غادرت إلى الكويت على طائرة boac british overseas airways corporation واستقبلني الوالد رحمه الله وهو منزعج من قراري للغاية. وفي الغد اتصلت (دائرة المعارف) وطلبت مني الحضور وكان مقرها في شارع الجهراء (فهد السالم) لصيقة الجامع (الملا صالح) الآن وذهبت إلى هناك وأبلغني المرحوم الأستاذ فيصل الصالح وكيل الوزارة (الدائرة) بفصلي من البعثة وعاتبني مسئول البعثات آنذاك الأستاذ عبد الله المفرج على قراري بترك الدراسة. وخرجت من دائرة المعارف وأنا في غاية السعادة ورأسا ومشيا على الأقدام توجهت إلى مكتبة (بن رويح) واشتريت تفسير (المراغي) للقرآن الكريم وحملته معي بثلاثة أكياس ثقيلة ومشيت إلى الشامية حيث منزلنا الجديد وبدأت رأسا بقراءة الجزء الأول من التفسير عازما أن انتهي من جميع أجزائه. لم أكن عابئا بقرار (دائرة المعارف) وقلت لنفسي: لن ألتحق بأي جامعة حتى أشبع من القراءة الحرة وخصوصًا في الإسلاميات. ودخلت في عالم غريب تمامًا وبعيدًا عن الكيمياء والفيزياء والبيولوجي والرياضيات مركزًا على علوم القرآن وتفسيره وسيرة ابن هشام والبخاري ومسلم. وشرح ابن عقيل. وما يتفرع عنها من كتب ودراسات. وعلى مدى سنة دراسية كاملة قرأت الكثير. وشبعت قراءة تمهيدية وجاء من نصحني بإخلاص أن التحق بجامعة في المنطقة وألا أضيع المزيد من الوقت.

وبعد أن فشلت في إقناع كلية الشريعة (الأزهر) وكلية الشريعة (دمشق) في قبولي ورفضهم كان له مبرره المعقول إذ أكدوا لي أن لم أتلقى الدراسات الأساسية للتعليم الشرعي وأن لغتي العربية ضعيفة جدًّا وتخصصي في العلوم التطبيقية (كيمياء - فيزياء- بيولوجي - رياضيات - إلخ) بعد أن فشلت في الالتحاق بالأزهر أو كلية الشريعة (دمشق) قررت للأسف أن ألتحق بالجامعة الأمريكية بيروت لدراسة السياسة والاقتصاد. وفاتحت (دائرة المعارف) برغبتي وبكل فروسية ونبل رحب الأساتذة عبد الله المفرج وفيصل الصالح بذلك فأعدوا الأوراق وكان التحاقي بالجامعة الأمريكية في بيروت (aub) في العام الدراسي 1963 - 1964.

بيروت Beirut
1967 - 1963

الجامعة الأمريكية كانت بيروت وقتها 1963 تعيش فترتها الذهبية كانت عاصمة العرب- طبعا جنبًا إلى جنب مع القاهرة. في الجامعة الأمريكية (التي تأسست 1866 كإرسالية تبشيرية مسيحية في لبنان) أخبرني مكتب التسجيل Registrar office بأن مرشدي وموجهي advisor هو المستر (شماعة) أخذت كل أوراقي معي لمكتبه. أذنت لي السكرتيرة بالدخول عليه. لأول وهلة ومن أول نظرة إليه تشعرك أن هذا رجل منهك ومتعب من كثرة الكلام والشرح والتوجيه. عليه أن يشرح لكل طالب على حدة جدول الكورسات والمواضيع التي سيدرسها ونظام الحياة في الجامعة وقواعد الكورسات والمواضيع التي سيدرسها ونظام الحياة في الجامعة وقواعد السلوك فيها ونظام السكن والطعام والإجازات وغير ذلك من الأمور المتعلقة بيوميات الطالب. أشفقت عليه وقررت ألا أرهقه بكثرة الأسئلة ولزمت الصمت وقلت لنفسي: سوف أتأقلم وأفهم الوضع بالممارسة. مهر بعض البطاقات بتوقيعه وأمرني بالذهاب إلى دكانة الكتب bookshop لتسلم الكتب المقررة على في السنة الأولى freshmen ومن ثم الذهاب إلى الغرفة المخصصة لسكني (غرفة 106) في مبنى بنروز penrose على اسم أحد المدراء السابقين للجامعة. كانت الكتب كثيرة وضخمة وثقيلة. قلت لنفسي: إنها الرأسمالية الأمريكية المتوحشة يبيعون عليك سلعًا قد لا تحتاجها: المهم الترويج والتصريف علينا نحن الشعوب المتخلفة.

وفعلا لاحظت أن الكُتُب ضخمة ونشتريها بالغالي وقد تكون صفحاته 600 صفحة بينما المقرر عليك منه لا يتعدي العشر صفحات. لاحظت ذلك على مدى أربع سنوات دراسية 1963-1967. ما علينا وقفت أمام الغرفة 106 فتحت الباب ووضعت مجموعة الكتب على المنضدة المخصصة لي وفجأة ارتفع صوت الآذان من مسجد قريب جدا: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر لا إله إلا الله. اغرورقت عيناي من الفرح تذكرت مانشستر حيث لا يسمع هذا الصوت. هذا هو المكان الذي أبحث عنه. التخصص في بيئة آمنه روحيًا وثقافيًا. تمنيت هلالا معي في تلك اللحظة كي يشاطرني تلك السعادة رأسا خرجت من الغرفة وتبعت صوت الأذان و إذا مسجد (الداعوق) أمامي بالضبط أمام السكن الجامعي. كانت صلاة الظهر. شباب في عمر الورد يشمر ويتوضأ ويهلل ويكبر ويسبح هذا من السودان، آخر من سوريا، ذاك من لبنان، من ماليزيا، من العراق، من السعودية وغيرها. المسجد صغير مساحة كبير معنى، مُفْعَم بالروح والسكينة والألفة/ مسكين برتراند رسل Bertrand Russell الذي أصابني بالدوار في مانشستر لوجرب ساعة في (الداعوق) لتعلق بأستار الكعبة.

المسير بين (الداعوق) وسكن الطلاب (penrose bldg) دقائق قليلة. (مطعم وليد) للشاورما أهم (منشأة!!) على المسار ومن المظاهر المألوفة بعد صلاة العصر رؤية وليد وهو يحتضن شيش اللحم الضخم النيئ و يعصره عصرا لكي يخلصه من الرطوبة التي علقت به قبل أن ينصبه على عود الشواية المعدني.

تكون الشاورما جاهزة بعد صلاة المغرب ووليد يصيح بالمارّة (تعا دوق

بيّو لمروش ما بيزبط هيك شاورما) أحلى من كل هذا استعداد وليد لتخفيض الأسعار (بالذات للطلبة السودانيين) معلقًا (منشان الله يا بي شو مُعّترين هالسُمر). اقترح عليه بعض الخبثاء من الطلبة السودانيين أن يكون أول (ساندويتش) مجانًا للزبون الجديد كفن من فنون الترويج والتوريط وكأن وليد انشرح للفكرة لكنه أصيب بالرعب بعد أن لاحظ غيمة سوداء من التماسيح الجدد عند مدخل المحل فور سماعهم الاقتراح.

الحياة السياسية في الجامعة

● الحياة السياسية والثقافية في الجامعة الأمريكية ببيروت aub حياة نشطة لا بل متلاطمة من كثرة النشاط. الأستاذ المحاضر لا يخفي تحيزه السياسي لا بل أحيانا انتماؤه الحزبي الطالب حريص على الاختيار السياسي المظاهرات واردة في أي يوم من الأسبوع الفرقة 16.

في كثير من الأحيان تحوم في شارع بلس bliss الندوات السياسية والفكرية تبدأ من الخامسة عصرًا حتى ساعة متأخرة من الليل (النادي الثقافي العربي) المحطة الثقافية للقوميين العرب في شارع عبد العزيز (العروة الوثقى) المحطة الثقافية للبعثيين أظن كانت في قريطم إن لم تخنّي الذاكرة (خلية شهاب) المحطة الثقافية للإسلاميين في الحمرا الحراك الفكري بين هذه الكتل مستمر ليل نهار، أحيانا يفضي إلى تفاهمات وأخرى يؤدي إلى صدامات. تعجبني بيئة كهذه لأني مجبول على كراهية الحياد والمحايدين ووجدت نفسي وبدون تردد ولا تلعثم منحازًا للإسلاميين، لأسباب عديدة.

أولًا: كأفراد ومن تجربتي الشخصية معهم وفي بيروت وفي تلك الفترة الساخنة (1963-1967) وهي فترة ناصرية بلا منازع تحلي الإسلاميون.

بشجاعة نادرة في مواجهة التضليل السياسي الذي كان عبد الناصر يمارسه على الأمة العربية وانصياع موجات جماهيرية من الأمة لهذا التضليل وسرعان ما اكتشفه الناس في 5 حزيران 1967.

ثانيًا: شخصيتهم المحافظة والمحتشمة الحيّية العفة والجادة فرضت نفسها في الساحة الطلابية وقد حضرت اجتماعات حزبية في القطاع الطلابي في تلك الفترة ورأيت رموزا من القوميين العرب والبعثيين (وبالرغم من الفوارق الفكرية ومنهم مسيحيون) يجلون ويحترمون الإسلاميين ويستمعون بأدب لهم قلما يبدونه لغيرهم.

ثالثًا: وهو الأهم التزامهم على صعيد فردي بالأوامر والنواهي الشرعية الإسلامية وهو أمر ملفت للنظر في الجامعة الأمريكية في بيروت خاصة في تلك الفترة في ظل التفلت الأخلاقي والتضليل الناصري والإرهابي. المخابراتي المستفحل آنذاك.

رابعًا: في بحر من (التغريب) النشط نلاحظ أن الإسلاميين خصوصًا في تلك الفترة وكأنها دعوة (للأصالة) والعودة إلى الجذور واجتهادهم الشخصي في (العربية الفصحى) أعطاهم في رأي نكهة خاصة وسط المسخ والطمس الثقافي في الجامعة الأمريكية في بيروت.

● لذلك وجدتني متألفًا متحابًا مع المرحوم محمود برات والأستاذ عبد الله أبو عزة حكيم المجموعة, وجودت ع من الأردن وعصمت ح من نابلس.

وزكريا ح من الخليل، عبد المجيد ن من السّلط وغيرهم كثير تأثرت

كثيرا بالإسلاميين السودانيين ولعي بالسودانيين والترابي وجدلهم المستمر مع الشيوعيين وجماعة عبد الخالق محجوب ووجدت نفسي أهتف معهم ضد حكومة إبراهيم عبود في الخرطوم وكنت الخليجي الوحيد في اجتماعاتهم وندواتهم الخاصة وتعرفت على نكهاتهم الخاصة: قلم التروبين tropin ونعال جلد النمر والجلابية والاسة والعمامة والكركديه وعيشة الفلاتية ملاك يا ملاك ووردي وأكلة الكسرة والويكا والمامبو السوداني (وازيكم كيفنكم صار لي زمان ما شفتكم) ونضحك معًا كالأطفال في الحافلة المتجهة إلى طرابلس استجابة لدعوة غداء من فتحي يكن (أبو بلال) وإبراهيم المصري (أبو عمر) توطدت العلاقة بحسن الترابي آنذاك إلى درجة أنه كان لا يتردد في المبيت في منزلي حال زيارته للكويت وكنت أحد المؤسسين لحزب المؤتمر الشعبي في السودان مع لفيف من الإسلاميين المصريين المرحوم حسان حتحوت وعصام الشربيني (أمثال الأستاذ فريد عبد الخالق) كان الترابي في تلك السنوات 1965-1980 دائم الانتقاد لقيادة الإخوان في مصر إذ يرى أنها جامدة وغير قابلة للتطور ولا تستطيع تجاوز العتبة الحزبية. وكان يجذبنا كثيرًا بأطروحاته الفكرية والكاريزما.

التي يتمتع بها وقدرته الاستثنائية على تحريك المياه الراكدة، ثم إنه يتمتع بطلاقة وموهبة في فهم المحيط السياسي وستايل style في حياكة المصطلح السياسي لكن لن أغفر له ما بقيت معانقته لصدام حسين 1990 بينما كنا في الكويت نعاني من إرهابه ووحشيته وبدائيته.

لذلك قاطعت الترابي ولم أرد على دعواته الثلاث لزيارة السودان بعدها يبرّز الترابي معانقته لصدام 1990 أنه كان ضمن وفد إسلامي لحل موضوع الكويت سلميًا وقبل الحرب ودعوة صدام للانسحاب من الكويت.

ويبدو أن سنوات التأسيس في فيكتوريا كوليج في المعادي- القاهرة كانت مفيدة للغاية. فقراءة المنهج باللغة الإنجليزية في الجامعة كانت سهلة للغاية لأن لغة الدراسة في فيكتوريا كوليج 1951 - 1961 كانت كلها بالإنجليزية لا بل حتى خارج الفصل كنا في فيكتوريا نعاقب إذا ضبطونا نتكلم مع بعض بالعربية، لذلك ليس غريبًا أن يعاقبك الأستاذ المناوب master on duty أن نكتب مائة مرة والعبارةالتالية:

I must not speak Arabic. وكنا ندرس جميع المقررات: كيمياء فيزياء بيولوجيا تاريخ جغرافيا رياضيات وغير ذلك باللغة الإنجليزية. لذا وجدت الدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت سهلة وميسورة وحصلت في النهاية على درجات جيدة جدًا في معظم المقررات إلا الرياضيات التي بيني وبينها عداوة تاريخية.

المشاهير في الجامع

● المناهج كانت دسمة وثرية في النظرية السياسية والعلاقات الدولية والتنظيم السياسي والمنظمات الدولية والقانون الدولي وعلم النفس السياسي والخطابة العامة public speech وتاريخ الشيوعية في الشرق الأوسط (كان يدرسنا هذا الموضوع حنا بطاطو ولا يمكن أن يغيب عن الذاكرة فهو مؤرخ الحزب الشيوعي العراقي) وقد درسوا في تلك الفترة 1963 - 1967 مشاهير في تخصصاتهم مع حفظ الألقاب: شارل مالك وإيلي سالم وإلياس سابا ويوسف إيبش وفايز صايغ ووليد خالدي وفريد حنانيا وفيليب حتى وألبرت حوراني وحنا باطاطو قسطنطين زريق ونقولا زيادة وطريف خالدي وأنيس صايغ وغيرهم لا تسعفني الذاكرة لذكر أسمائهم. زرع فينا

هؤلاء احترام (التخصصي العلمي وكان لنا معهم جولات ممتعة من الحوار والمدارسة وكانوا يصبرون علينا و يسمعون لنا ثم يردون علينا الردود العلمية الهادئة فنزداد احتراما لهم. وجدت في تلك الفترة ليس تحصيلا علميا فقط، بل وصياغة لشخصية حركية جديدة تنفست الفضاء البيروتي آنذاك ليمر عبر التصفية الفكرية والروحية في (الداعوق واللقاءات الأسبوعية الدافئة في (خلية شهاب) الحمرا.

أكره الحياد والمحايدين

أميل إلى الشخصية الحارة والحركية ولا أحمل كثير احترام للشخصية الباردة غير المتفاعلة تحت مسمى التريث والحذر والتأني فأمواج الأحداث تتلاطم من حولنا ولابد من الحركية والوثبة والتفاعل. كنا جلوسا في محاضرة حنّا بطاطو (وكان يشبه مناحيم بيجن) وهو يتحدث عن الحزب الشيوعي العراقي ويوسف سلمان يوسف ويهودا إبراهيم صادق وحسين الشبيبي وشلومو دلال وكثير من شخصيات ذلك الحزب وكنت وقتها مندمج أيما اندماج في متابعة بطاطو و إذا بصوت من خارج النافذة يناديني باسمي فالتفت باتجاه الصوت ولمحت عثمان خالد. وقفت وأستأذنت بطاطو للخروج من الفصل فأذن لي ممتعضا، فأخذت أوراقي وخرجت. أراني عثمان جريدة (لسان الحال) وعلى صفحتها الأولى صورة للأستاذ عصام العطار القيادي البارز من إخوان سوريا وفتحي يكن رحمه الله القيادي البارز من أخوان لبنان وسعيد العبار فيما أذكر وآخرون والخبر يؤكد إلقاء القبض عليهم في شقة في قريطم و إبداعهم في سجن الرمل (بيروت) قال لي عثمان هذه رسالة تسلمها لأبي مصطفى في الكويت الليلة وهو بدوره سيسلمها للسيد يوسف وزير

الدولة في الكويت وبدوره سيعرضها على الشيخ جابر الأحمد رحمه الله ولي عهد الكويت آنذاك والرسالة تطلب من الشيخ جابر بذلك مساعيه الحميدة للإفراج عن الأخوان المذكورة أسماؤهم. طيارتك اليوم بعد المغرب والعودة غدًا ومعك الجواب سيكون أبو مصطفى باستقبالك في مطار الكويت وهاك التذكرة. وفعلا امتطيت الطائرة الكويتية متجها إلى الكويت التي وصلناها في المساء وسلمت أبو مصطفى الرسالة وأخذها فورا إلى السيد يوسف الذي عرضها على الشيخ جابر الأحمد رحمه الله من صباح الغد والذي بدوره خاطب المسئولين في لبنان للإفراج عن الإخوان وقد كان ودعوت للشيخ جابر دعوته للسيد يوسف في ظهر الغيب وشعرت براحة نفسية غريبة وأنا أطلع على جريدة (لسان الحال) والعنوان الكبير في الصفحة الأولى (الإفراج عن الإخوان) كانت مخابرات عبد الناصر تلعب هذه اللعبة بين الفينة والأخرى لإثارة الشبهات حول الإخوان والتأليب عليهم مع أن كل الذين تم القبض عليهم يتمتعون بإقامة شرعية وقانونية في لبنان بل إن بعضهم ما زال حتى كتابة هذه السطور يعيش في بيروت منذ 1965.

حنا بطاطو:

أخبرني زملائي الطلبة أن، بطاطو قال للفصل بعد أن استأذنت منه للخروج لملاقاة عثمان: أخبروا النفيسي أنه سوف يرسب عندي حتما. أقلقني تهديد بطاطو وفي يوم ماطر خلال الويك إند امتطيت تاكسي (سرفيس) إلى (سوق الغرب) وبعدها (شملان) حيث يقطن بطاطو مع والدته في فيلا قديمة جدًا وطرقت الباب والمطر ينهمر على ففتح بطاطو الباب وقال بلهجة وكأنه يتصنع الجفاء: شو بدك.. لشوجاي هون؟ وقبل أن أنبس بكلمة تدخلت والدته الكريمة قائلة: مش عيب يا حنا تقابل ضيوفك هيك؟ اتفضل يا ابني ادخل عن المطر. كدت أطير من الفرح فالطقس في الخارج لا يرحم وسيارات التاكسي في هذه الساعة من النهار وخلال الويك إند أندر من العرب في دبي. حاولت أن أهدئ من حساسية بطاطو تجاهي فقال لي ناهرا: يجب أن تثبت للفصل ولي أنك مهتم بدراستك. قلت له: سأفعل أَعِدُك. بعد أن هدأ الرجل سألني: كيف الكويت؟ قلت لنفسي: نجح المشوار.

وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث بين قضمة من (المنقوشة) ورشفة من (العيران). استأذنت للعودة إلى بيروت بعد أن هدأ المطر وظهر بصيص شمس وشقشقت عصافير شملان.

ماركس وابن سلام

في الطريق أخذت أفكر بضرورة استعادة ثقة بطاطو بأهليتي الدراسية. إنه دائم الذكر لماركس وكتبه فلماذا لا أضع ورقة مقارنة بين كتاب ماركس (رأس المال das capital وكتاب (الأموال) لأبي عبيد بن سلام. وفعلا أنكببت

على الورقة لأيام قراءة وتمحيصًا وعرضًا. كانت ورقة مختصرة للغاية وعامة وشاملة وأظن أنها مفيدة. بعد محاضرة من محاضراته الشائقة جمعت جسارتي وناولته الورقة (تقريبًا 15 صفحة) وقلت له: وعدتك في شملان وعدًا هذا بعض الوفاء به. نظر إلى عنوان الورقة (ماركس وابن سلام: دراسة مختصرة مقارنة) تأمل في وجهي وقال باهتمام: سأقرأها بعناية. بعد أيام التقينا صدفة في ممرات نايسلي هول فقال لي واضعًا كفه على كتفي: هل تعرف يا عبد الله؟ nicely hall do you know what Abdallah? سوف أطلب منك أن تعرض هذه الورقة أمام الفصل. يالها من مفاجأة.. وفعلًا أتاح لي هذه الفرصة وسط تندر بعض الطلبة الذين أكلت الغيرة قلوبهم، فالغيرة في الحياة العربية تجري في العرب كما يجري الدم في عروقهم. عرضت الورقة أمام الفصل ولاقت. استحسانًا واضحًا من بطاطو وبعض المتميزين من الطلبة، أما (سواد قريش) فمنهم من قضم أظافره ومنهم من حك شحمة أذنه: وفي نهاية السمستر منحني بطاطو 85 % ورسب ذاك الذي قضم أظافره وزميله الذي حك شحمة أذنه واللذان يجلسان في نهاية الفصل كتفًا بكتف وإذا تحدثا يموءان كالقطط تمامًا كالقطط ويتهامسان كالنساء.

حملة إسلامية في الجامعة

● في ليلة مطيرة اجتمعنا ثلة من الطلبة المسلمين في (خلية شهاب) 1965 وذلك للتخطيط للنشاط الثقافي الإسلامي في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي مواجهة التضليل الثقافي السياسي والاجتماعي الذي تمارسه الكتل الحزبية الأخرى مثل (حركة القوميين العرب) و(حزب البعث) و(الأحزاب الشيوعية: العراقي واللبناني والسوداني) والتي نشطت آنذاك في الجامعة

الأمريكية في الوسط الطلابي وتمكنت من تجنيد أعداد مهمة من الطلبة المنتمين لعدة أقطار عربية. لقد نشطت هذه الكتل الحزبية على ترويج أدبياتها ومراجعها الفكرية والسير الشخصية لرموزها وقدمت للطلبة ذاك على أساس أنه المقولات الفكرية لتجمعاتها. وكان واضحًا أن عملية الفرز والاصطفاف السياسي بين طلبة الجامعة عملية نشطة ومتحركة ومتصاعدة. أدركت من خلال هذا الاجتماع وغيره من الاجتماعات التي تلته أن زادنا (الفكري) ضعيف.

وأن الإسلاميين أهملوا إلى حد بعيد العملية الفكرية أو التربية الفكرية إذ باتوا يركزون في خطابهم على (نظام القيم) لا (نظام المفاهيم) ولذلك كثر فيهم (الخطباء) وقل في صفوفهم (المفكرون) وحرصوا على (الحشد العاطفي) لا (التوجيه الفكري) هذه الأفكار وغيرها كانت تعتمل في داخلي لكن عندما التفت يمنة ويسرة في الجامعة الأمريكية لا أجد أفضل من الإسلاميين كا (رفقاء سيكولوجيين) أكثر منهم (كتلة حزبية رفقاء يعانون من الاغتراب alienation - estrangement الاجتماعي والثقافي في بيروت الستينيات التي تضّج بالبذاءة والتكشف والفرانكوفرنية: أكثر منهم كتلة حزبية تنتمي للحزب الأم الناشط في طلب السلطة هنا أو هناك أو في أي مكان. في تلك السنوات كان الإسلاميون في حالة (فرار) طلبًا للأمن و (حفظ النوع) حسب داروين Darwin. أدركت كل هذا مبكرًا منذ 1965، لكن عندما أتأمل في وجوه الأستاذ عبد الله أبو عزة ومحمود برات وعصمت. ح وزكريا.أ وعبد المجيد.ن, سعد. س وسلمان. س وغيرهم كثير لا أملك إلا أن يصرخ شيء بداخلي: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 28].

صوت الإسلام والبلاغ

لذلك نشطنا في إصدار نشرة باللغة الإنجليزية (sawt el islam) ونشرة باللغة العربية (البلاغ) صدر أول عدد من (صوت الإسلام) في صيف 1964 وأودعنا نسخًا من العدد الأول في (مكتبة شئون الطلبة) (office of student life) في الجامعة الأمريكية قبل توزيعه على الطلبة.

وقررت المجموعة الإسلامية (إخوان ومستقلون) أن ننتخب مجلس إدارة للنشرة يرأسه الأخ زكريا أبو حمدية (فلسطين - الخليل) وكان في سنته النهائية في الجامعة ويتخصص فيما أذكر باللغة الإنجليزية وكان يتسم بالوقار والدقة والإخلاص وحسن التأتي في علاقته مع الإدارة أيضا كان فيما أذكر حامد عبد الله (السودان) وعبد القادر بن عجيبة (المغرب - تطوان) وعبدالله مختار (السودان) وغيرهم وكلفني مجلس الإدارة برئاسة التحرير chief editor يساعدني في ذلك سلمان سلمان (السودان) وعبد السلام فادوسن (نيجريا) وآخرون. ولقد قدم الأخ زكريا للعدد بكلمة مختصرة ثم مقالة حول (النظام الاقتصادي في الإسلام) نقلناها عن مجلة (المسلمون) التي يصدرها المركز الإسلامي في جنيف بإدارة الراحل د. سعيد رمضان وأخرى عن (مشكلة كشمير) كمقالة تعريفية كتبها أحد الأخوة الباكستانيين ولم يرغب أن يذكر اسمه على صفحات المجلة. ومحاضرة للدكتور فيليب حتى p.hitti حول فلسطين. ومحاضرة للدكتور الخالدي حول دور المسجد في التربية والتعليم. وأمّا نشرة (البلاغ) التي كلفتني المجموعة بإصدارها باللغة العربية وكنت أطبعها في مطبعة في بناية (العازارية) 1965 في بيروت البلد فكانت (نشرة طلابية تؤمن بالإسلام عقيدة وجهادًا ونظام حياة) كما يقول شعارها وكنت أتلقى ردود أفعال الطلبة على صندوق بريدي في الجامعة

ورقمه (1509) وعلى قلة ردود الأفعال إلا أنها كانت جدية استطعنا من خلالها دمج أصحابها في العمل الإسلامي بالجامعة.

المقالة الأولى في (البلاغ) كانت لعبد الله التل مستلة من كتابه (خطر اليهودية العالمية) ونشرنا كذلك نبوءة بنجامين فرانكلين Benjamin franklin 1789 بفنون اليهود بالسيطرة على الغرب وآخر عن (جنوب السودان) وكيف يخطط الغرب لفصله عن الشمال وآخر عن (بروتوكولات حكماء صهيون) ولحسن الحظ أني احتفظت بنسخة من الاثنين:

(صوت الإسلام) و(البلاغ)

تحب تشتري كرافتة؟

صلاة العصر في (الداعوق) لها طعم خاص. معظم المصلين من طلبة الجامعة الأمريكية ومن العاملين في المطاعم الكثيرة المجاورة للجامعة. الطلبة أرهقتهم المحاضرات طوال فترة الصباح والعاملين في المطاعم أرهقتهم وجبة الغداء التي قدموها للزبائن الشرهين على يمينك طالب وربما على يسارك (شيف) بلباسه الأبيض التقليدي. هذا في العادة أو في الأيام العادية. اليوم الوضع مختلف. بعد الفراغ من الصلاة كنت أحرص دائما على مصافحة من هو على يميني ومن هو على يساري. عندما فرغت من مصافحة الطالب الذي على يميني، مددت يدي لأصافح من هو على يساري: ليس (شيفًا) بل رجل كهل قوي البنية مربع الوجه قصير القامة ذو نظرة ثاقبة يحتضن حقيبة صغيرة (سامسونايت).من النوع الرخيص (ربما تقليد لسامسونايت) لم أشاهده من قبل في (الداعوق).

وأنا أصافحه سألني سؤالًا لم يخطر على بالي: تحب تشتري كرافتة؟ (وهو يفتح الحقيبة) قلت له: أنا لا ألبس كرافتة؟ فتح الحقيبة على مصراعيها وقد رصت الكرافتات بكافة الألوان ونظر إلي نظرة كأنه يقول لي: اشتر واحدة. سألته: بكم؟ قال: يعتمد على الكرافتة التي تختارها. جلت بنظري وقلت: هذه. قال: هذه أرخص واحدة فقط بأربع ليرات (وقتها 1965 كان الدينار الكويتي يساوي سبع ليرات وكانت الليرة عزيزة). كانت حمراء قانية (ذوق شلكاتي) حسب بروفيسور عزيز الدمشقي). لفها بورقة بيضاء شفافة وناولني إياها. أخرجت من جيبي أربع ليرات ونقدت الرجل. سألني: هل أنت من اليمن؟ قلت: ليس بعيدًا عنها أنا من الكويت. قال: نلتقي غدًا مثل هذا الوقت في هذا المسجد ومضى. تابعته بنظري حتى غادر المكان واتجه إلى اليسار حيث (مروش) و(الكراكون) ولسبب لا أدريه شعرت بأن وراء هذا الرجل سر. فشكلة وهيئته ليس ومشيته ليس مشية بائع جوال وفي عينيه حزن معجون بالإصرار، الإصرار على ماذا؟ لا أدري. حرصت من الغد على صلاة العصر في (الداعوق)، تلفت بعد الصلاة لعلي أراه، فلم انتظرت وقتًا ليس بالطويل لم يأت دعوت له بالحفظ والتوفيق لا أدري لماذا فعلت ذلك.

وقفت دقائق بالقرب من (الطرزي) بائع البوظة التي تنحدر بكسل حلزوني لتستقر في جوف بسكوتة سمراء والطلبة يتزاحمون ويتدافعون بيد كل واحدة منهم ربع ليرة. منهم من يدفع قبل التسلم (استلام البوظة) ومنهم من يتريث بالدفع ويستلم البوظة ويلعقها مرة أو مرتين ثم يدفع.

أنا من حزب التريث

فجأة تتوقف سيارة مرسيدس (سرفيس) ويترجل منها رجل شاحط ويقترب من أحدهم ويصوب مسدسا إلى رأسه, ويطلق الرصاصة التي أودت بحياة الطالب وسقط مضرجا بدمه وسط صراخ الزحام الطلابي وهلعهم. يمتطي القاتل المرسيدس ويمضي في حال سبيله. راعي البوظة لم يتحرك من مكانه ولم تقع من يده المستعرقة أرباع الليرات بل صرخ فينا بشكل هستيري: مين ما دفع يا شباب؟ وقف عندك أنت ودفعت؟ في الغد قرأنا في جريدة خبر مفاده أن طالبًا خطف طالبة من بيت أهلها عنوة وتزوجها رسميًا فجاء أخوها (القاتل) ليصفي الحساب معه في شارع بلس أخذت الجريدة وقرأت الخبر على راعي البوظة فسر سرورًا بالغًا لأن الجريدة ذكرت المحل على صفحاتها معلقًا يا عيب الشوم ليش ما حطوا صورتنا (رأسمالي متوحش) قلت لنفسي.

عبد المنعم عبد الرءوف

ذات ظهيرة بعد حادث (الطرزي) بيومين أو ثلاثة وفي صلاة الظهر رأيته ومعه (السامسونايت) فتوجهت نحوه فابتسم لأول مرة أراه يبتسم - واعتذر عن تخلفه عن الميعاد ذلك وقال لي: أنا جئت اليوم خصيصًا لأدعوك للعشاء في منزلي. ارتبكت. فأنا لا أعرف الرجل كيف إذن أدخل بيته وأتناول الطعام عنده. لاحظ ارتباكي. بادرني بالقول: لا تخاف ولا ترتبك فأنا رجل مستور ومتزوج وعلى باب الله. قبلت دعوته. دارته في (الطريق الجديدة) بالقرب من (جامعة بيروت العربية). طرقت الباب. فتح لي وكأنه لا يصدق ما يراه. قلت: ماذا؟ ألم تكن تتوقعني؟ ألم تدعوني؟ أمسك بيدي مصافحًا

ومبتسمًا وقال: بل أنا سعيد بمجيئك و إن لم أكن أتوقع استجابتك أقولها لك بصراحة. بيته خال من الأثاث تماما إلّا كرسي خيزران في طرف الصالون الخاوي وبجانب الكرسي منضدة مستديرة عليها باقة أزهار من البلاستيك المُغْبَر زادت المكان كآبة. أجلسني على الكرسي وذهب داخل الشقة وسمعت همهمة له ولأهله وبعدها بدقائق جاء يحمل كاسه من (الجلاب). ثم ذهب مرة أخرى داخل الشقة. شعرت بحرج كبير. جال نظري هنا وهناك. وقعت عيناي على شهادة معلقة على الجدار ذهبت عندها لأقرأ مفاجأة. هذا الرجل الذي يبيع الكرافتات في المساجد والشوارع والذي يستضيفني في شقته المتواضعة الآن هو (قائد السرب) سابقًا في سلاح الجو المصري اللواء عبد المنعم عبد الرءوف الذي كان له الدور الرئيس في حركة 23 يوليو 1952 في مصر والتي أطاحت بالملك (فاروق) وكان عضوًا في مجلس قيادة الثورة وهو الذي قام بقيادة الفرقة التي حاصرت قصر رأس التين في الإسكندرية ونجحت في إرغام الملك السابق فاروق على التنازل عن العرش (والذي نشرت مذكراته فيما بعد 1986 دار نشر معروفة وشهيرة - الزهراء للإعلام العربي) أهلًا وسهلًا. سمعت صوته من الخلف التفت عليه. نفس الحزن ونفس الإصرار في عينيه. إذن أنت اللواء عبد المنعم عبد الرءوف زميل جمال عبد الناصر وكمال حسين وعبد اللطيف بغدادي وحسن إبراهيم وأنور السادات وغيرهم من (الضباط الأحرار) هز رأسه. وكانت علاقة لله بهذا الرجل تعلمت منه الكثير والكثير وبرغم شخصيته العسكرية الصلبة والظروف الاستثنائية التي مر بها ومطاردة عبد الناصر له لسنوات إلا أن ذلك لم يقتل فيه عفويته وبراءته وإيمانه بكرامة الإنسان إلى آخر يوم في حياته رحمه الله (31 يوليو 1985 - 14 ذي القعدة 1405).

في حضرته كانت سياستي (دعه يتكلم) فهذا رجل مخزون بالخبرة والقوة

والفروسية. ولو تركني على حريتي لأحضرت معي آلة تسجيل لأستعيد ما كان يقوله لي عن انقلاب 23 يوليو 1952وعن زملائه في مجلس قيادة الثورة (محمد نجيب، عبد الناصر، بغدادي، عامر، كمال حسين، صلاح سالم، جمال سالم، السادات، الشافعي.. إلخ) وعن التطورات المريبة في خلاف نجيب وعبد الناصر وعن عملية التضليل الإعلامي الذي مارسه عبد الناصر ضد كل من يخالفه الرأي داخل مجلس قيادة الثورة وخارجه وعن الظلم والظلمات التي سادت مصر بعد الانقلاب وعن الطحالب السياسية التي التفت على جذع الثورة فخنقتها وحرفتها وحولتها إلى ناد مغلق لا يتمتع بالعضوية فيه إلا الأرزقية وطلاب المناصب والإثراء غير المشروع والنفوذ. كان رحمه الله يحذرني من دور العسكر في السياسة ويؤكد لي - من تجربة مرة خاضها- أن العسكر يفقدون كثيرًا من شرف المهنة العسكرية إذا دخلوا مجال السياسة، ليس هذا فحسب، بل ويدمرون البلاد والعباد كما حصل في مصر. ثم نظر إلى ساعته فإذا الوقت متأخر جدًّا ولم أشأ أن أقاطعه فقال بلهجته المصرية المحببة: يا خبر أنا نسيت إني عازمك على العشاء، قام ودخل الغرفة المجاورة وبعد دقائق خرج ومعه طبق واحد مفروش عليه شيء من اللبنة ورش عليها زيت زيتون وباليد الأخرى حمل رغيفين أعطاني واحدًا ثم قال: بسم الله يلا نتعشى يا عبد الله. وفي لحظة انتهينا من العشاء. تحب (تحبس) بالشاي؟ سألني. استحسنت الفكرة بعد دقائق كنا نرشف الشاي الذي أعدته لنا الفاضلة (أم المنتصر) بعد ذلك استأذنت للذهاب عسى أن أجد (سرفيس) في هذه الساعة المتأخرة من.الليل ليوصلني إلى شارع (بلس bliss) ما أحلى بيروت في هذه الساعة... مطر.. مطر.. مطر.

نزار قباني:

كان نزار قباني نجم المرحلة (1963 - 1967) وبالرغم من أنه اشتهر عبر غزلياته ونسائياته إلا أنه نبغ أيضًا في تحريك المخيال العربي خصوصًا في تلك الفترة حين تطرق لفلسطين والنكبة والنكسة وغيره من الهموم العربية العامة. وكثرت المتابعات له ولغيره، من الشعراء والأدباء ولأني فقير العلم والمعرفة في هذا المجال وجدتني أبحث عن (كورس) في الجامعة (اختياري elective) يبحث في هذا المجال. واهتديت بعد بحث وتقص إلى كورس يشرف عليه المرحوم بإذن الله البروفيسور إحسان عباس ذلك المتخصص الفذ في الأندلسيات والأدب. كانت محاضراته متعة من المتع وعندما نخرج منها نتقمص لا شعوريًا شخصيته ويتمنى الواحد منا لو كان قصيرًا بدينا أصلع أحمر الخدين أنيقًا فصيحًا مثله رحمه الله. لكن سرعان ما نكتشف أننا (ولا حاجة). في يوم من الأيام طلب د. إحسان منا في الفصل أن يختار كل طالب شاعرًا أو قاصًا أو ناقدًا أدبيًا ويكتب عنه ورقة يعرضها على الفصل إذا شاء أو يسلمها د. إحسان ليأخذ عليها تقديرًا معينًا. وكتب على السبورة أسماء العديد من الشعراء والروائيين والنقاد وترك لنا حرية الاختيار. تكالب الطلبة والطالبات -أذكر- على اسم نزار قباني.

واختار الآخرون غيره. وسألني رحمه الله: وأنت يا عبد الله من تختار؟ فقلت له: سأخبرك فيما بعد. وعندما خرجنا من الفصل تقربت منه وقلت له بأني لا أحب المشاهير، بل أجد نفسي دائمًا ميالًا للمغمورين وسأكون شاكرًا لك لو ترشح لي شاعرًا مغمورًا يعيش ظروفًا صعبة ومعاناة فقد يكون شعره أعمق من الآخرين. وفعلا لم يقصر سامحه الله في ذلك.

فاقترح على شاعرًا لم أسمع باسمه في حياتي وأعطاني عنوانه (بالقرب من ساحة الدباس في وسط بيروت) ونظر إلي نظرة لم أفهمها إلا بعد أن زرت ذاك الشاعر في عنوانه ذاك. كان يوم أحد وعالبَلَد؟ الطقس جميل... ؟ سألت سائق التاكسي السرفيس. اتفضل. نقدته الربع ليرة. اخترق (الحمرا) باتجاه (باب إدريس) ونزلت في (رياض الصلح) ذلك لأن (ساحة الدباس) ليست بعيدة عن هناك. أذكر أني طلبت من د. إحسان رقم تليفون ذاك الشاعر المغمور فابتسم وقال: ليس عنده تليفون هو فعلا مغمور. كانت معي ورقة صغيرة عليها العنوان في ساحة الدباس. وبعد سؤال هنا وهناك اهتديت إلى العمارة الخالية من المصعد. كانت شقته في الطابق الرابع، أو الخامس فيما أذكر. ولأنه لم يركبني اللّحم بعد لم أجد صعوبة في القفز على الدرج. الممر المؤدي إلى الشقة رث للغاية. جرائد قديمة تتطاير هنا وهناك. رائحة بول قديم مستوطنة في الممر. وقفت أمام باب الشقة وبحثت عن زر للجرس فلم أجد. طرقت الباب طرقة واحدة قوية مشوبة بالوجل. تصايحت قطط كثيرة خلف الباب. سمعت رجلا يصيح بها أن تكف عن المواء. سمعت خطواته المتجهة إلى الباب. يبدو أن الرجل طويل وبدين لأن خطواته متباعدة وثقيلة على الأرض. فتح الباب. تطايرت القطط بالخروج، لا أقل من خمس منها إلى الممر, تركني وتبعها ليتمكن من إدخالها إلى شقته. رجل شاحط ثقيل يرتدي (روب دي شامبر) تفوح منه رائحة شحم الغنم في طرف فمه سيجارة تشتعل. مين حضرتك؟ شو بدك؟ أخبرته بالحيثيات. كأنه هدأ. بل أرى على محياه شبح ابتسامة. مددت يدي لأصافحه؟ أنا اسمي عبد الله من الكويت. لم يمد يده لمصافحتي معتذرًا لأنه كان يعجن بها لحما لإعداد وجبة الغذاء له وللقطط. دعاني إلى المطبخ يحيط بنا موكب القطط. محاولا التخلص من الورطة التي

دخلت فيها قلت له: هل تحب أن نحدد موعدًا آخر لكي تحدثني عن شعرك وإشراقاتك؟ قال: لا لا هذا أحسن موعد. سوف أعد وجبة القطط وبعدها نجلس في الغرفة المجاورة لأقرأ عليك شعرًا من ديواني الذي لم يطبع بعد. هل تحب الشعر؟ هل يحبون الشعر في الكويت؟ على ذكر الكويت (خمنتك) جاي تستأجر للصيفية في المنطقة. ما بنصحك روح على الجبل الهوا هناك أطيب والمي مثل العسل. ومضى يتكلم ويتكلم وينط من موضوع إلى آخر إلا الشعر. سرحت وتخيلت الملاعين الذين اختاروا نزار قباني وهم يجلسون في فيرندا فسيحة تطل على بحر (الرملة البيضاء) وأمامهم ما لذ وطاب من حلويات (الحلاب) نزار بكل أناقته وتكسره وعذوبته ولم أستطع تحاشي الإحساس بالقحط عندما قفزت قطة في حضني وسكبت كاسة ماء على أوراقي وقلمي. تصنعت الرهبنة والسماحة والملاحة وطلبت منه أن يقرأ علي شيئًا من شعره. كانت أول قصيدة عن طفولته القاسية وقريته الفقيرة وفئته الضعيفة. فقال ما رأيك؟ قلت: ليس مهما رأيي في الشعر لأني لست خبيرًا في هذا المجال لكن لدي سؤال أظن أنه مهم: هناك كثير من الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية المعنية بالطفولة المعذبة وبالقرى الفقيرة وبالفئات الضعيفة من المجتمع فلماذا لا تنضم إلى إحداها وتشارك في حل وفكفكة هذه المعضلات بدلًا من هذا المخاض النفسي والمعنوي الذي تمر به في وضع القصيدة؟ نظر إلي وكأنه لم يكن يتوقع هذا السؤال وقال: تقصد أخرج من هذه الشقة وأذهب أبحث عن هذه الجمعيات أو المؤسسات وانضم إليها واشتغل معها؟ قلت: نعم وتوظف شعرك المأساوي هذا في خدمة رسالتها. لو فعلت ذلك ستنجز شيء وتخدم غاية وتنشغل من حالة (الانفعال) إلى حالة (الفعل) وبالفعل يتقدم الإنسان وتنصلح الأمور. أمّا هذا اللطم ليل نهار

وهذه السيجارة وربما غيرها فإن ذلك انتحار بطيء وتكسير للإرادة وهدم لهذه البسطة في الجسم التي منحك إياها الله.

أما قصيدتك عن المرأة فدليل على عطشك لها وفقرك إليها فلماذا تضيع وقتك في الحديث عنها كمعشوقة ولماذا لا تنظر إليها كرفيقة درب وامرأة صالحة وسكن وملاذ ومأوى وستر ومربية لأطفالك. لماذا لا تفكر جديًّا بالزواج وبالحياة الطبيعية الأسرية التي ستحول هذه الشقة إلى (قصر) يضج بضحكات أطفالك ولثغاتهم عوضًا عن مواء هذه القطط الوسخة؟ كأنه استفاق وكأن الذي قلته له لم يسمعه من قبل. قال: ما العمل؟ قلت: اليوم الأحد (كل شيء مسكر) غدًا سأطلب من رجل يكبرني سنًا وهو ملاك في شكل إنسان يرأس جمعية خيرية تعني باليتامى من الأطفال سأطلب منه أن يزورك بعد الظهر لتكون يده اليمنى في هذا العمل والفعل فهل تقبل أن يزورك؟ قال: طبعًا بل أتمنى ذلك. قلت: لكن أرجوك لا تستقبله وفي يدك هذه السيجارة. وأبعد هذه القطط عن طريقه لأنها تشوش الزيارة والآن أنا استأذنك للعودة إلى السكن الجامعي. ودّعت الرجل عند الباب وقال: سأنتظر صاحبك غدًا بعد الظهر. قلت: سيكون عندك بإذن الله.

نزلتُ من سيارة الأجرة عند مطعم (الطَّرزي) وهاتَفْتُ (أَبو أَنَس) وزودته بتفاصيل ذاك الشاعر في (ساحة الدّباس) وألححت عليه أن يقوم بزيارة له بعد صلاة العصر وأن يُدمجه في العمل مع جمعيته ويضع له برنامجًا حركيًا يُشغله عن الشعر والسَّرحان والصَّيعان.

وأبدى أبو أَنَس استعدادًا طيبًا للتعاون. عدت إلى السكن الجامعي والغرفة 106 (Penrose building) وقد أنهكني المشوار (ساحة الدباس) والحكى طوال النهار مع صاحب القطط. من الغد التقيت بمجموعة الطلبة

الذين استضافهم نزار قباني في داره وحكوا لي عن عالم يختلف تمامًا عن (ساحة الدباس) وصاحبنا المغمور فيها. مضت الأيام بل السنوات (ربما سنتين ونصف) وعندما كنت في السنة الرابعة جامعيًا كان مقررًا أن نلتقي في (الدّاعوق) بعد صلاة المغرب وذلك لعيادة أخ لنا في (بَعَلْشمية) أصيب بحادث سيارة إصابة متوسطة و إذا بهذا الرجل الضخم يتقدم نحوي ويُسلم بحرارة و يقول: هل تذكرني؟ قلت: وأين القطط؟ فضحك. أنا جئت لأسلم عليك وأدعوك إلى منزلي بل إلى (قصري) حسب تعبيرك. قلت: هامسًا: هل أفهم أنك تزوجت. قال: نعم وعندي الآن طفل أسميته أنسًا اعترافًا بجميل الشيخ أبو أنس وجمعيته التي أحدثت انقلابًا في حياتي اليوم.

ذات يوم توجهت إلى (ساحة الدباس) بدعوة من المهتدي الجديد وصعدت الدرج إلى شقته وإذا بالممر نظيف تفوح منه رائحة الصابون وجدرانه (ضُربت بُويَه) ناصعة البياض وعند باب الشقة زر للجرس ولم أسمع صياحًا أو مواء قطط بل لثغات (أنس) ووالده يحمله. هش الرجل وبش لمقدمي وأحسست أنه كائن جديد لا سيجارة ولا رثاثة ولا سَرَحان إنما الفطرة. يقضي سحابة نهاره في (الجمعية) يتلقى تبرعات الخيرين لكفالة اليتيم ويزور دار أيتام قريبة ويشرف على وجبات الأطفال ويلاعبهم في حديقة الدار الصغيرة المتواضعة ويدعهم بعد الظهر أمانة بيد داعيات خيرات تفرغن لخدمتهم والمبيت معهم وتعليم الأيتام الصلاة وحُسن الخُلُق. وبعد الظهر يعود لساحة الدباس ليعتني بأنس وأمه ويلبي مطالبها ويأنس برفقتها. قلت: كيف تجدك؟ اغرورقت عيناه وقال: ما أحلى الفطرة وأروعها بسيطة ونظيفة ومباشرة وفي متناول اليد. الحمد لله.

د. فايز صايغ

● كان الراحل د. فايز صايغ من معالم الجامعة الأمريكية في بيروت في فترة الستينيات. وكان يدرسنا مادة العلاقات الدولية. خفيف البنية نحيفًا، مؤدَّبًا في تعامله معنا نحن الطلبة إلى درجة (بتخجلنا). عفّ اللسان. حضاريًا إلى أبعد حد. مُقنعًا، موضوعيًّا، هادئًا، متفائلًا ولكنه حزين وليس متفائلًا فرحًا. كأن تفاؤله غير أصيل ولكنه لا يبوح بذلك مخافة علينا خاصة عندما يتحدث عن (القضية الفلسطينية) والكيان الصهيوني. وبالرغم من أن مادة (العلاقات الدولية) International Relations مادة إجبارية في القسم وأن كتاب نورمان بالمر N. palmer وزميله هوارد بركنز H. Perkins (870 صفحة) هو الكتاب المقرر في هذه المادة وهو كتاب غير مُريح للقراءة، لكن تدريس د. فايز للموضوع يجعل المادة شائقة وذات طعم خاص. ولأن د. فايز محاضر من العيار الثقيل كنت أحرص شديد الحرص على الحضور مبكرًا لعلي أظفر بمقعد بالصف الأول بحيث أتابع ليس فقط ما يقول ولكن أتابع حتى لغة جسده وحركاته body language. وعندما تنتهي المحاضرة ويغادر د. فايز قاعة الدرس أجد نفسي مع ثلة من الطلبة والطالبات نتبعه حيث ذهب. أحيانًا يقف في الردهة يخاطب زميلاً له من المحاضرين فنقف حيث وقف وأشعر بارتياح بالغ إذا ضحك د. فايز تلك الضحكة الخجولة وكأنه يرتكب معصية. هذا الرجل بحاجة لأن يضحك - أقول لنفسي- فالهم الذي في قلبه كفلسطيني من القدس - وما أصاب القدس- لا يعادله هم.

ونمشي وراءه حتى يدخل مكاتب القسم PSPA department ويلتفت علينا وهو يبتسم: بَدْكُم شيء شباب؟ فيتوارى الواحد منا خلف الآخر وتصيبنا (ربكة). كان نجمًا وضياءً. في محاضرة عامة من محاضراته ظهرت

بحة في صوته وكان أمامه كاسة ماء فأخذها ورشف منها رشفة و إذا بنا نصيح صيحة جماعية: صحتين فيجيب: عا قلبكم. ما سر هذا الوجد مع هذا الرجل؟ ربما صدقه.

سألته يومًا بعد المحاضرة: ماذا أستطيع أن أفعل من أجل فلسطين؟ نظر إلي بتمعن: تعرف يا عبد الله هذا سؤال كبير. تعال معي. تبعته. خرجنا من بوابة الجامعة إلى شارع بلس bliss أخذنا يمين مشينا إلى (الكرا كون) وأخذنا شمالًا باتجاه شارع الحمراء ونزلة أبي طالب ثم دخلنا شارع السادات وتوقفنا عند بناية (مركز الأبحاث الفلسطينية) لافتة. صعدنا لا أذكر أي دور. فور دخولنا إلى الشقة أحسست أن الجميع وقف ليحيى الرجل: إذن هذا عرين د. فايز. دعاني إلى مكتبة وطلب فنجان قهوة وسألني ماذا تشرب في ذاك الأسبوع كنت قد قررت أقاطع القهوة والشاي لأنها تؤرقني فقلت وبكل بلاهة: جلاّب بس بدون صنوبر لو سمحت. استلقى على قفاه وضحك حتى بَدَت نواجذه لأول مرة أشوف د. فايز يضحك هذه الضحكة وضحكت معه وأنا أحس بالحرج الشديد: شو يا عبد الله قالوا لك إحنا قاعدين بسوق الطويلة؟ وضحكنا معًا ولمت نفسي كثيرًا على هذه البلاهة ولكن ذوق د. فايز الرفيع هَدْهَدَ من خاطري. حلو الواحد يتمكن من الضحك وسط المأساة اللي إحنا عايشين فيها. قالها وهو يستجمع شيئًا في باله. سألتني يا عبد الله ما العمل؟ وأنا أحييك على صدقك مع نفسك هذا أولاً.

أما ثانيًا فيجب أن تعلم أن الصهاينة عندما قرروا احتلال فلسطين لم يفعلوا ذلك في سنة أو سنتين بل وفق (خطة) (وحِسْبَه إستراتيجية) أخذت منهم عشرات السنين من تمهيد دبلوماسي ومقتضياته وغطاء سياسي ومفاعيله وتنظيم حركة هجرة يهودية إلى فلسطين وقيام ميليشيات عسكرية وعصابات

إرهابية لتكون ذراعًا للحركة الصهيونية و إعلامًا يهوديًا صهيونيًا تكون مهمته (التضليل) تضليل اليهود أنفسهم والدول الطاردة لهم وقيام مؤسسات مالية لتمويل كل هذا النشاط وعلاقات سياسية مع الدول الكبرى لحماية الفكرة الصهيونية.

هذا المركز يا عبد الله مهمته الإجابة على سؤالك: ما العمل؟ من أين نبدأ؟ كيف نبلور (حسبتنا الإستراتيجية) و(خطتنا)؟ هذه هي مهمة هذا المركز. فإن رغبت المساعدة فأهلاً بك. قلت له: أتشرف بالمساهمة بهذا الجهد العظيم على قدر استطاعتي. سألني سؤالاً مهمًا: هل تحب العمل لوحدك أم ضمن مجموعة؟ قلت له: لوحدي وتحت توجيهك و إشرافك المباشر بالطبع. فتح ملفًا وتمعن فيه وقال: تعال في الغد في مثل هذه الساعة وستكون المهمة بانتظارك. شكرته على لطفه ووعدته بالعودة غدًا. وفي الطريق وقفت عند محل عصير وطلبت كاسة جلاب أشربه وأضحك وراعي المحل يسألني: شو بيك؟ ولا أجيب.

وفي الغد عُدت إلى (مركز الأبحاث) حسب الموعد الذي ضربته مع د. فايز. قال لي: أريد منك يا عبد الله أن تجمع لي كل قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بإسرائيل منذ 1948 حتى الآن (أظن 1965) وذلك لكي نبين للقارئ - أي قارئ- أن إسرائيل خارجة عن الشرعية الدولية والقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ولذا فليس من حقها التحجج بذلك لأنها لم تطبق ولا قرار صدر بحقها من المنظمة الدولية. اذهب وابحث عن هذه القرارات في مكتبة المركز وفي مكتبة الجامعة Jafeth library وفي أي مصدر آخر سألته: هل هناك سقف زمني؟ قال: خود راحتك وبدأت تنفيذ المهمة التي كلفني بها أستاذي د. فايز وقد كانت مهمة مفيدة لي شخصيًا لأنها أطلعتني

على سُخف مقولة (الشرعية الدولية) و(القانون الدولي) و(المنظمة الدولية) وتفاهة القرارات الصادرة عنها في وجه الصّلف الصهيو- أمريكي وأقنعتني هذه المهمة بأن سياسات القوة power politics هي السائدة في هذا العالم وأن اللهاث وراء سراب (ميثاق الأمم المتحدة) أو غيره من المواثيق ما هو إلا إطالة عمر الظلم الفادح الذي تتحمله الشعوب المستضعفة ومنها الشعب الفلسطيني. ولذا لابد من البحث عن مخرج آخر لنا مهما كان هذا المخرج صعبًا وعسيرًا فقد لا يكون هناك مخرج غيره. وهذا ما دفعني لمتابعة (حركات التحرر) و(حركات المقاومة) و(حرب العصابات) الدائرة آنذاك في إفريقيا وأمريكا اللاتينية ومتابعة كتابات ماو وجيفارا ودوبريه وعلى شريعتي وفرانز فانون وكامو وسارتر وسون تزو وغيرهم من رموز المقاومة للإمبريالية والاستكبار العالمي الذي تمثله الولايات المتحدة بالذات والدول التي تدور في فلكها.

● خلال الأربع سنوات التي قضيناها في الجامعة الأمريكية في بيروت احتكينا مع (اللبناني) بكافة أشكاله وألوانه وأديانه ومهنه ومستوياته وطبقاته ومنازعه ومذاقاته. وفي شارع بلس وحده هناك نماذج عديدة عاكسة للوضع اللبناني: معلم جبران (المزين والحلاق) وخطاب (بائع الجرايد) وأبو أحمد (البوياجي) وبارون (بائع السجق) ووليد (بائع الشاورما) وأبو عيسى (صاحب المصبغة) ومعلم تيسير (عنا أحلى ترويقة) وياسين (شوفير التاكسي) وغيرهم. ثمة خيط مشترك تجمع هؤلاء: البراجماتية والعملية والاستعداد للتفاوض والتأقلم ولا وقت للأنين وكيف ننتقل إلى الخطوة التالية وثم ماذا؟ أحيانًا أتعمد الجلوس بالقرب من أبو أحمد (البوياجي- ماسح الأحذية) المولع بورقة اليانصيب وأخلع حذائي وأناوله على استحياء حذائي ويقول لي لماذا لا تقف وتمد قدمك على المنصة الخشبية لصندوقي؟ فأقول له:

والله أستحي منك فأنت في سن أبي فيعجب لقولي و ينظر إلي لبرهة وتدمع عيناه فأنتهز هذه الفرصة وأكلمه في موضوع (ورقة اليانصيب) وأبين له أنها (قمار) وأن هذا أمر محرم في ديننا. فيقول لي: إنها تعطيني (عالقليلة) أمل فأقول له: خلي أملك في الله وتوكل عليه. قل لي يا أبو أحمد منذ كم سنة وأنت تشتري هذه الورقة؟ قال: أكثر من عشرين سنة قلت: هل فزت مرة؟ قال: ولا مرة. قلت: هؤلاء نقابة حرامية يسرقونك يوم بعد يوم والليرات القليلة التي تكتسبها من عرقك يسرقونها منك عن طريق هذا الوهم (اليانصيب) وعن طريق هذه السيجارة التي حولت سبابتك إلى عود من الطباشير الأصفر. أصح يا أبو أحمد واستدرك قبل أن تتوارى في التراب. يا أبو أحمد احسبها حسبة دنيا واسأل نفسك: كم مدخولي اليومي في أحسن الأحوال؟ عشر ليرات؟ كم يصرف منها على ورقة اليانصيب والسيجارة؟ عالقليلة خمس ليرات يعني نصف مدخولك على هذا الوهم وهذا الدمار: اليانصيب والسيجارة. أليست هذه خسارة دنيوية، طبعًا وبدون شك. فما بالك إذا كانت أيضًا خسارة أخروية.

إن متابعة أشخاص مثل أبي أحمد تجعلك على يقين بأن ضعفاء هذه الأمة بحاجة إلى من ينتشلهم من الضياع وتتكلم معهم فرب كلمة تحدث انقلابًا في حياة الواحد منهم. معلم جبران مسيحي ماروني يعلق صورة صائب بك في محله وكما هو معروف أن صائب بك من زعماء المسلمين السُّنة في بيروت. أسأل معلم جبران: لماذا تعلق صورة صائب بك؟ فيلتفت يمينًا ويسارًا ويضحك ويقول: لأن الزعران زبايني كلهم مسلمين سنة مثلك الشاهد أن ثمة جو من التفاهم (الضمني) بين اللبنانيين على أمور كثيرة لا تجدها في مجتمعات عربية أخرى.

● رب ضارة نافعة. 5 يونيو 1967 يوم الاثنين تنهار الآمال التي كانت تعلقها الجماهير على الناصرية وجمال عبد الناصر. في خلال ساعة تمكنت إسرائيل - عدوة العرب والإنسانية- من القضاء على سلاح الجو المصري وهو رابض في مطاراته المتناثرة. وخلال الساعات الأولى لهذه النكسة استمر (الإعلام؟) الناصري في الكذب على الأمة بأسرها. وبرز اسم أحمد سعيد في إذاعة (صوت العرب) في عالم الكذب هذا. ولو صدقنا الأكاذيب التي تفوه بها هذا المذيع لما كان لإسرائيل الآن وجود. لكن الله أراد أن يبين للأمة أن للتمكين والنصر شروطًا موضوعية وفنية لم تتوفر في التجربة الناصرية ولا في جمال عبد الناصر الذي قادنا بجدارة إلى هزيمة منكرة صيف 1967 كنا وقتها نستعد للامتحان النهائي finals في الجامعة الأمريكية وبالرغم من الظروف السياسية والنفسية الصعبة التي كنا نعيشها تمكنا من النجاح ونيل بكالوريوس في العلوم السياسية وتسلم الشهادة والعودة إلى الكويت وسط أجواء الانكسار العام الذي يعيشه العرب جميعًا بكل أطيافهم السياسية.

كمبردج Cambridge
1968 - 1972

لندن:

فور أن وصلت الكويت 1967 ذهبت لزيارة جامعة الكويت والمسئولين فيها وزيارة قسم العلوم السياسية هناك لإبداء رغبتي في الابتعاث للخارج لاستكمال دراساتي العليا وصولاً للدكتوراه والانضمام لهيئة التدريس في القسم المذكور. وإن أنسى فلا أنسى الترحيب والتشجيع الذي بادرني به الأستاذ أنور النوري أمين عام الجامعة أيامها وكذلك الترحيب والتشجيع من طرف رئيس القسم د. إبراهيم صقر رحمه الله. كانت الجامعة في سنتها الأولى فقد تأسست 1966 وكانت الآمال الكبيرة معلقة عليها لقيادة المجتمع الكويتي والنهوض به على كافة الأصعدة. واندفاعنا للانضمام إليها والتدريس فيها ناجم عن قناعتنا بمحورية الدور المناط بها في مجتمع ناهض وشاب مثل مجتمع الكويت. وخلال أيام قليلة تلقيت الموافقات الخطية من إدارة الجامعة والقسم العلمي (العلوم السياسية) للابتعاث. وكان علي الاتصال بالجامعة التي أرغب مواصلة دراستي العليا فيها وكانت عيني على المملكة المتحدة (إنجلترا) وبالذات على كمبردج أو أكسفورد.

وبدأت أراسل هذه الجامعات. وقتها كنت أتوق كتابة أطروحة في الدراسات العليا حول إما المملكة العربية السعودية أو العراق أو إيران على

اعتبار أن الكويت تقع في قلب هذا المثلث. فنحن - هكذا تصورت وقتها- في أن الكويت بحاجة لمتخصصين في الشؤون السعودية والشؤون العراقية والشؤون الإيرانية وبوجود هذه الفرق من المتخصصين في شؤون هذه الدول الإقليمية. الكبرى في الكويت قد نستطيع النجاح في تحاشي كثير من المشكلات في علاقتنا الخارجية الإقليمية وَلَا خَيار للكويت عبر تاريخها من أجل الأمن والبقاء إلا عبر علاقات خارجية متوازنة مع هذه الدول الإقليمية الكبرى. لكن الوضع الأمثل للكويت هو أن تكون ضمن وحدة إستراتيجية متضامنة تتشكل من الدول الست لمنظمة مجلس التعاون الخليجي.

● ولأن المراسلة مع الجامعات كانت تتم عبر البريد ولأن البريد عندنا مشهور بسياسة التريُّث فلم يصلني القبول إلا بعد خمسة أشهر من (كتابنا وكتابكم) أي في ديسمبر 1967 أي بعد أن بدأت السنة الدراسية في الجامعات الإنجليزية بثلاثة أشهر. فاقترح علي القسم أن أذهب إلى لندن وانضم إلى كورسات في العلاقات الدولية والقانون الدولي في جامعة لندن إلى أن يحين الانتقال جامعة كمبردج 1968 أكتوبر التي حصلت على قبولي بها وبعدها بشهر حصلت على قبول أكسفورد في كلية سانت أنتوني St Anthony وأما كمبردج فقبلت في كلية ونستون تشرشل churchill فتوجهت إلى لندن وانضممت إلى كورسات في جامعة لندن التي وصلتها متأخرًا وكانت كل المحاضرات تدور في مجال العلاقات الدولية والقانون الدولي وهي ليست المجالات التي أتوق التخصص بها رغم أهميتها وفائدتها.

شوارزنبرجر schwarzenberger

● فعلاً كنت سعيد الحظ في حضور كورس العلاقات الدولية في جامعة لندن لأن الذي كان يُدّرسنا وقتها هو شاورزنبرجر المستشار السياسي الألماني السابق في عدد من الجامعات الألمانية. لقد هرب جورج شوارزنبرجر من ألمانيا بعد أن تعرض لخطر من الحزب النازي الألماني وهو في طريقه إلى السقوط. وكان مقررًا علينا كتابه الشهير (سياسة القوة power politics) من منشورات دار بريجر praeger سنة 1941 وهو كتاب ممتع للغاية كم أتمنى أن يجعله ساسة العرب مرشدًا نظريًا لهم في عالم السياسية إذ يُنظِّر شوارزنبرجر في هذا الكتاب لسياسات القوة في زمن السِّلم وزمن الحرب. كان رجلاً قصيرًا بدينًا أصلعًا ذا لكنة ألمانية واضحة ولا يتحمل المقاطعة ولا كثرة الأسئلة من طرفنا نحن الطلبة لذلك اتبعنا معه سياسة (دعه يتكلم واستفد مما يقول). وكان بين الحين والآخر يستشهد بفترة هتلر بأسلوب لا يخلو من الحنين nostalgia وأحيانًا لا يخفى استهزاءه بالليبرالية البريطانية التي تقوم على الميوعة الفكرية والسيولة المصطلحية. تنتشر شائعة بين طلبة الفصل أن شوارزنبرجر كان في الثلاثينيات مستشارًا استراتيجيًا لهتلر لكن بعد أن أفصح هتلر عن سياساته العدوانية بشكل فاقع ضد اليهود هرب شوارزنبرجر من ألمانيا لأنه يهودي.

لندن الستينيات:

كانت لندن في تلك الفترة مدينة ذات طابع خاص ومحتفظة إلى حد كبير بشخصيتها المتميزة حال مقارنتها بلندن الحالية (2012) ولم يفد بعد إلى لندن هذه الجيوش الجرارة من المهاجرين والطالبين الإقامة الدائمة فيها للعمل أو للجوء السياسي أو الدراسة أو غيره.

حركة الباصات والقطارات لذلك كانت منتظمة وغير مزدحمة. الشوارع آمنة وتقريبًا خالية من المعكرات: العاطلين عن العمل والنشالين وبائعات الهوى والسكارى والمدمنين والمحتالين وغيره كما هو حال الشارع اللندني الآن. والشرطة اللندنية آنذاك كانت لها حضورها المقدر في الشوارع ولها حيدتها العنصرية ودورها في فرض الأمن في الشوارع الجانبية والأزقة والأماكن والميادين العامة. أما المواصلات العامة: باصات قطارات سيارات أجرة وغير ذلك فكانت في المتناول على مدار الساعة وبأثمان معقولة ومحتملة.

- أحلى ما في لندن في تلك الفترة الحدائق العامة: هايد پارك وريجنت بارك بالذات. خضراء على مدّ البصر تستطيع أن تمشي لساعات فيها دون أي إزعاج. لا بل متعة المتع أن تأخذ معك زادك من البيت وتتغدى أو تتعشى هناك في جو من الأمن والراحة بدون مضايقات من أحد. الملفت للنظر في هذه الحدائق هو فرق الصيانة التي تتحرك بمركباتها الخضراء الأنيقة تشذب النباتات وتقصقص الأسيجة الخشنة المتطاولة وتعتني بالتربة المحيطة بالأشجار القديمة وبعضها بلغ من العمر المائة عام وهي خضراء وجميلة ومزدانة بالزهور والورود.
- أمّا عجيبة العجائب عندنا نحن العرب الذين نكتوي بنار الطغيان

العربي فهو زاوية الخطباء في هايد بارك Speakers Corner حيث يقف أي إنسان بريطاني كان أو غير بريطاني ليقول ما بدى له من قول في أي موضوع شاء. وأذكر أني كنت أستمتع بما يقوله عدد غير قليل من المتكلمين في شؤون هذا العالم الفسيح. وتدور أحيانًا حوارات شيقة بين الخطيب وبعض الحضور ومهما سخن الحوار نلاحظ أن الجميع يحافظ على هدوئه.

مكتبة الحي:

● كنت وقتها أقيم في طرف حي كينسينغتون Kensington وبالذات في شارع جلوسترروود Gloucester Road وهو يختلف عن جلوستر پليس Gloucester St الذي ذكرناه سابقًا. وكانت هناك في الشارع الرئيسي high Street Kensington مكتبة للحي وجدت فيها الملاذ المناسب للقراءة ومراجعة الدروس لا بل استعارة بعض الكتب المسموح باستعارتها. ولاحظت أن المترددين على هذه المكتبة من شتى الفئات العمرية وأن العاملين فيها يتمتعون بدَرَبه على التعامل مع الناس وعلى دراية تفصيلية بمحتويات المكتبة الكبيرة بحيث إذا طلبت كتابًا معينًا في موضوع معين يأتيك الجواب في دقائق. وكم من كتاب استعرته وأعدته في الوقت المحدد لإعادته دون أية تكاليف: كل ما عليك أن تزودهم باسمك وعنوانك ورقم هاتفك وتأخذ الكتاب لتقرؤه وتعيده. لاشك أن مكتبات الحي هذه تساهم مساهمة جادة في نشر الثقافة والعلم لا بل نشر السِّلم الأهلي في الحي والنهوض بقاطنيه.

سكن الطلاب المسلمين Muslim Students Hostel

● من المؤسسات المهمة التي تعرفت عليها في لندن (سكن الطلاب المسلمين) الذي يُؤوي الطلبة المسلمين المنحدرين من بلدان إسلامية عديدة: عربية وغير عربية. وتعقد في قاعة السكن الفسيحة كثيرًا من اللقاءات والحوارات والندوات والمحاضرات التي تعني بأوضاع العالم الإسلامي وشؤون المسلمين في أوروبا وغير أوروبا. وكان من اللافت للنظر أن المسلمين إذا وضعوا في البيئة الصح تظهر عبقرياتهم ونزوعهم الفطري للسلوك الرشيد ونسجت مع عدد غير قليل من الطلبة المسلمين من ماليزيا والهند وباكستان وتركيا علاقات دافئة ومنظمة. ولاحظت أن الطلبة المسلمين غير العرب لا يضيعون أوقاتهم في الخلافات الحزبية والفئوية كما يفعل العرب عمومًا، ولذلك تتمتع منظماتهم لدى السلطات البريطانية - آنذاك على الأقل- باحترام وتقدير واضحين.

أبو الأَعْلى المَوْدُودي:

● من الشخصيات البارزة التي شرفنا بلقائها في لندن في تلك الفترة أستاذنا ومعلمنا وشيخنا أبو الأعلى المودودي من مشاهير العلماء المسلمين في الهند وصاحب العديد من الكتب التي تعنى بالإسلام والمسلمين وصاحب تفسير القرآن الشهير (ترجمان القرآن) رجل قصير كبير الرأس كث اللحية عليه ابتسامة وقورة وذو هندام متواضع قميص بنجابي وسروال وحذاء مفتوح من الخلف يسهل خلعه للصلاة والوضوء. إذا تأملت في محياه وفي عينيه لا تستطيع إلا أن تؤمن بأنه مؤلف (المصلحات الأربعة في القرآن

الكريم) و(الخلافة والملك) و(ترجمان القرآن) وغيره من الأمهات التي خطته يمينه الشريفة. كنا جمهرة من الطلبة المسلمين في القاعة وكنا نتسابق على المقاعد القريبة منه رحمه الله. أذكر وقف أحد الأخوة المصريين ليقدمه فقال ما معناه: سكوت فوقت الإمام المودودي ضيق سيلقي عليكم بعض من توجيهاته ويمشي. لم يعجبني أسلوب الأخ المصري في إدارة الجلسة ولا هاله التقديس الذي أحاط به الضيف الكريم فرفعت يدي طالبًا الكلام. فقال لي الأخ المصري نزل إيدك يا عبد الله ما عندناش وقت. فقلت له: بالضبط لأنه ما عندناش وقت أنا أقترح اقتراح للاستفادة الجلي من الوقت. فضاق بي الأخ المصري فأشار إلي المودودي رحمه الله ووجه الخطاب لي مباشرة: وما اقتراحك؟ قلت له: فضيلتكم تتكلمون وتكتبون منذ ثلاثينيات هذا القرن ونحن قرأنا معظم ما قلتموه أو كتبتوه والآن جاء دورنا لنتكلم معك وأن تسمعنا. لقد سمعناك لمدة لا تقل عن ثلاثين عامًا فهل كثير أن نطلب منك أن تسمعنا لمدة ساعتين؟ رحب المودودي إيمّا ترحيب بالفكرة بينما امتعض البعض مني ممّن يقدسون القيادات لا بل إن بعضهم عد ذلك قلة أدب مني أو قلة ذوق على الأقل. ويعلم الله أني لا أمل من سماع أستاذنا المودودي وهو يتكلم، لكن استدراكي ذاك هو موقف من (المونولوج) الذي اعتاد عليه الإسلاميون وبغية (الديالوج) لترسيخ ركنية الحوار وتأسيس عُرف الحوار كتقليد حركي ونقابي غاية في الأهمية النقطة التي ركزت عليها مع أستاذنا المودودي هو تصوره لـ (الدولة الإسلامية) التي عمل من أجلها إلى أن حكمت عليه المحكمة بالإعدام ثم نجاه الله من ذلك ولله الحمد.

وقد أفاض رحمه الله في الموضوع وأضاء بعض الجوانب الخفية فيه. وكثرت الأسئلة وسخنت الحوارات وكان لقاءً شائقًا ومفيدًا سُر منه أستاذنا المودودي

رحمه الله أيما سرور؛ ذلك لأن المودودي موجه فكري وليس واعظًا كما يظنه البعض والموجه الفكري يتعامل مع نظام (المفاهيم Concepts) وليس مع نظام (القيم ethics) والحوار والمطارحة الفكرية هي التي تتناسب مع نظام المفاهيم وتليق به. المودودي رحمه الله من نفس عيار سيد قطب الشهيد صاحب (الظلال) و(المعالم) فلا يليق أن تدعو سّيدًا إلى مجلسك، هذا العملاق الذي أتحفنا بـ (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) و(معركة الإسلام مع الرأسمالية) و(المستقبل لهذا الدين) وغيرها ثم تقول له: عظنا يا سيد إنك بذلك لا تدلل على أنك فهمته ومررت على نظام المفاهيم الذي نسجه في كتاباته تلك؛ فهو ليس بواعظ ولا خطيب إنه موجه فكري وكذلك المودودي رحمهما الله وأسكنهما فسيح الجنات.

الأرشيف البريطاني:

● الجزيرة العربية والعراق وفلسطين ومصر والسودان كلها كانت مناطق نفوذ بريطانية. كانت بريطانيا هي القوة المهيمنة على هذه المناطق لفترة طويلة من الزمن. وكانت لبريطانيا في هذه المناطق إدارة واسعة من الضباط السياسيين والمندوبين الساميين والحكام العسكريين. وكان لبريطانيا في هذه المناطق وجود عسكري بارز وقطع الأسطول البريطاني تجوب البحار والمياه في هذه المناطق وكانت الإدارة البريطانية في هذه المناطق تتابع كل شاردة وواردة في شؤون هذه البلدان، ولقد كتب البريطانيون تقارير سياسية تحليلية لشؤون هذه المناطق عبر مراحل عديدة تجمعت لقرون وعقود وكلها موجودة الآن لإطلاع الباحثين في مكتبة (السِّجل العام

(public Record office) وهي مكتبة مهمة موجودة في لندن تحوي عشرات الألوف من التقارير السياسية المهمة المتعلقة بالجزيرة العربية والعراق وفلسطين ومصر والسودان وغيرها. وتعتبر المعلومات والتحليلات المشتملة في هذه التقارير من أدق ما هو موجود في عالم الأرشيف السياسي. ومن أراد أن يتخصص في شؤون الجزيرة العربية والعراق وفلسطين ومصر والسودان لا يستطيع أن يستغني عن هذا الأرشيف لا بل من الممكن القول إنه من أفضل وأدق المراجع في شؤون المنطقة.

● ووجدتها فرصة مهمة وعظيمة أن أكون عن قرب جغرافي من هذا الأرشيف فمكتبة السجل العام (p.R.o) قريبة من وسط لندن والدخول إلى المكتبة والتعامل مع الأرشيف يقتضي الحصول على (بطاقة باحث Research Card) وقد حصلت عليها من الجامعة في لندن لقاء رسوم رمزية و إثبات بأني من طلبة الدراسات العليا post grad. أول شيء يسترعي الانتباه داخل قاعات وممرات هذه المكتبة المهيبة هو الهدوء التام بالرغم من كثرة المرتادين.

الشيء الثاني أن العاملين في هذه المكتبة خبراء في التعامل مع الباحثين وخبراء في الأرشيف والمعلومات. فور أن طلبت المواد التي أود القراءة فيها عن الجزيرة العربية والعراق قالت لي الموظفة: طلبك بسيط للغاية ورقم الملف F.o. 371 وقرأت المراسلات التي كانت تتم بين الأمراء والملوك في المنطقة العربية وسلطات الاحتلال البريطاني و يلمس المتأمل في (عبارات) هذه المراسلات مثل (خادمكم المطيع) في رسالة موجهة إلى ضابط بريطاني من أمير عربي أو ملك عربي يلاحظ أن العلاقة كانت علاقة (سيِّد ومَسود) وليس علاقة (تعاون) أو (تحالف). وفي النتيجة يصل الباحث إلى قناعة أن بريطانيا هي التي حددت هياكل الحكم في هذه المنطقة وهي التي أملت

على العرب من يقودهم ويحكمهم خصوصًا مع مطلع القرن العشرين 1899 - 1932. لقد فرضت بريطانيا - وهذا واضح من خلال التقارير في ملف F.o. 371 - مثلاً أن يكون وزير مالية العراق لفترة طويلة وفي تشكيلات وزارات عديدة يهودي من يهود العراق (ساسون حزقيال) ومن يتابع المراسلات التي تمت بين وزير المستعمرات (colonial office) آنذاك ونستون تشرشل Winston Churchill والضابط السياسي في بلدة (سوق الشيوخ) في جنوب العراق حول من يجب أن يُسند إليه الحكم في العراق لا يملك إلا أن يرفع حاجبيه استغرابًا فالاثنان يتعاملان مع هذا الموضوع وكأنه قائمة مشتروات Shopping list من سوبر ماركت إلى درجة أن عددًا غير قليل من الرسائل كانت على أوراق عادية وبالقلم الرصاص الحقيقة زياراتي لمكتبة (السجل العام P.R.O) تكررت وكانت مثل المقبلات التي تسبق الوجبة الدسمة والتي كانت تنتظرني في كمبردج.

محطة ليفربول ستريت:

● 36: 9 التاسعة وست وثلاثون دقيقة يغادر القطار رصيفه في محطة ليفربول ستريت Liverpool St متجهًا إلى كمبردج. تستغرق الرحلة إلى كمبردج حوالي ساعة ونصف الساعة. أول شيء لفت نظري في شبكة القطارات في المملكة المتحدة هو دقة التوقيتات (الوصول والمغادرة) مع علمي الأكيد بأن الجمهور البريطاني دائم التندر والتهكم على (British Rail BR) فهذا الجمهور لا يعجبه العجب وأصبح في سلوكه الجمعي group behaviour يميل نحو الCynicism.

ومحطات القطارات في أوروبا تحتل مكانًا مهمًّا للغاية في حياة المواطن، إذ إن جمهورًا كبيرًا هناك يعتمد على شبكة القطارات في مواصلاته لإنجاز أعماله وكسب رزقه والوصول إلى مقر عمله لأن المواصلات الفردية (أي السيارة الخاصة) باتت مكلفة ومزعجة من جهة تأمين الموقف لها وصيانتها running costs وفي محطة ليفربول ستريت كل ما يحتاجه المسافر على القطار مطاعم ومكتبات وإرشاد سياحي وخرائط دقيقة بأرخص الأثمان وبنك وهواتف عمومية كثيرة من خلالها تتصل بكل أنحاء العالم فرثيت لحال محطة (باب اللوق) للقطار والتي كنا نستعملها في القاهرة للوصول إلى المعادي حيث لا خدمات إطلاقًا سوى بائع (السميط) الذي تلاحقه البلدية والشرطة بحماس منقطع النظير.

● عندما تصل إلى محطة كمبردج وتترجل من القطار وتخترق ستيشن رود Station Rd وتتأمل في المارة لا تستطيع أن تخطئ بأن معظمها من الطلبة الجامعيين وأن هذه مدينة جامعية بامتياز وأن حركة الحياة اليومية فيها تدور حيث دارت الجامعة وأن أي تطور في الجامعة ينعكس تلقائيًا على الحياة في المدينة.

دراسة دور الشيعة:

توجهت إلى Sidgwick Avenue حيث موعدي مع رب سارجنت R.B. Sergeant البروفيسور الذي رحب بالإشراف على بحثي (دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث). قلت سابقًا طمحت 1967 أن يكون عندنا في الكويت متخصصين في شؤون الدول الإقليمية الكبرى الثلاث في الخليج والمحيطة بالكويت: السعودية والعراق وإيران، ومن خلال تجربة الكويت

مع العراق في أزمة 1961 ومطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت كنت وقتها مشبعًا بإحساس الخطر العراقي فوصلت إلى قناعة أن وجود فريق كويتي علمي متخصص في شؤون العراق وعلى دراية (يومية) بالتحولات في المزاج العراقي الجمعي (الشعبي والرسمي) قد يساعد الكويت في إدارة علاقتها بالعراق بشكل أفضل فقررت البحث في شأن من شؤون العراق. وعندما تدارست الموضوع مع عدد من المهتمين والمتخصصين في شؤون العراق ومن أبرزهم أستاذي البروفيسور وليد خالدي وأستاذي البروفيسور فايز صايغ وكلاهما كانا يدرسان في الجامعة الأمريكية في بيروت وكذلك الأستاذ لونكريك Longrigg في لندن وصاحب (أربعة قرون من تاريخ العراق Four centuries of history of Iraq) وكذلك الأستاذ ر.ل. بدول R.L. Biduell صاحب (شؤون الكويت The Affairs of Kuwiat) وكان يدرس وقتها في كمبردج وغيرهم شجعوني أن أبدأ بقراءات مكثفة في شؤون العراق التاريخية والسياسية والاجتماعية قبل أن ألتزم بموضوع عراقي معين ومحدد. وأذكر أنني تتبعت في هذه المهلة عشرات المراجع العراقية التي تُعنى بشؤون العراق ومن أهمها: (تاريخ الوزارات العراقية) بكافة أجزائه لعبد الرزاق الحسني والذي أهداني إياه أخونا الحبيب الأستاذ عبد الله العقيل (أبو مصطفى).

وخلصت بعد مراجعة ومواكبة للموضوع لبضعة أشهر من القراءة والتمحيص في الأمر أنه بالرغم من الاهتمامات العلمية المتشعبة للنخبة العراقية العلمية والأكاديمية كأنما غفلوا عن دراسة (دور الشيعة) كجماعة سياسية في تاريخ وتطور العراق السياسي الحديث والمعاصر. منشأ هذا التغاضي عن الموضوع لدى النخبة العراقية كان ربما التخوف من الاتهام

العشوائي بالطائفية وهي تهمة وقتها كانت خطيرة وربما مؤذية سياسيًا. ولقد أكد لي ذلك بعض الأكاديميين العراقيين (شيعة وسنة) خلال تجوالي الميداني في العراق صيف 1968 ما بين المشخاب والنجف والسماوه والديوانية وكربلاء وسامراء والناصرية والكوت والعمارة ولقائي بالعديد من شيوخ العشائر هناك وبعض الأكاديميين منهم. وخلال مراجعتي لتاريخ الوزارات العراقية لفت نظري اهتمام الشيعة في تسلم حقيبة التربية والتعليم بالذات من دون الوزارات في العراق وذلك راجع لاهتمامهم المذهبي والسياسي في ملف التعليم كمدخل لحل مشكلتهم الكلية في العراق وشعورهم الدائم بالمظلومية. وقررت بعد هذا المسح Survey لتفريعات الموضوع أن ألج هذا المجال وهو البحث في دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث.

الرحلة إلى العراق:

● أكد سارجنت على أهمية البحث والتجوال الميداني في العراق لملاحقة الموضوع عن كثب وليس فقط عن كتب. ومنحني ستة أشهر للتفرغ لهذه المهمة المشوقة وفعلاً تكفل المكتب الثقافي الكويتي في لندن برئاسة الأستاذ سليمان العنيزي الذي كان نعم الأخ والمشجع على المضي في البحث الميداني في العراق رغم وعورة العراق كبيئة سياسية لبحث مثل هذا وفي وسط تلاطمات سياسية كان العراق وقتها يعيشها (صيف 1968 شهد العراق عدة انقلابات). توجهت إلى الكويت وبعد أيام استقللت سيارة فورد متوجهًا إلى بغداد. وفي بغداد نصحني صديقي المرحوم سامي الجميلي أن أستأجر شقة في شارع 14 رمضان لكي تكون مقرًا لي base أضع فيها كتبي وأوراقي لمدة الستة أشهر المقررة إذ من غير المعقول تحمل تكاليف الفنادق وهي باهظة

طوال هذه الفترة. وفعلاً تيسر هذا الأمر وخلال أيام قليلة وشرعت في اتصالاتي.. وأذكر أن سارجنت زودني برسالة تؤكد أنني أقوم بالبحث في هذا الموضوع بصفتي طالب دراسات عليا في كمبردج كي تسهل أموري، فأخذت هذه الرسالة معي في أول رحلة إلى النجف لمقابلة السيد محسن الحكيم.

الرحلة إلى النجف:

تستغرق الرحلة من بغداد إلى النجف تقريبًا ساعتين بالسيارة انطلقت مبكرًا الساعة السابعة لأن موعدي معه كان في التاسعة وفي الطريق مررت على (الحلة) وتناولت (الريوق) في مقهى على الشط: تشريب باجلا ولّحفتها باستكانتين چاي حاچم. وفي النجف استقبلني المرجع الشيعي الأعلى في العراق السيد محسن الحكيم يحيط به أنجاله عبد العزيز ومهدي ومحمد باقر. وقد غمرني بلطفه وكرمه وأوصى أنجاله بالتنسيق معي ومرافقتي حيث أشاء في عموم الفرات الأوسط وتنظيم مقابلاتي مع من أريد من أعيان الشيعة هناك وزيارة المكتبات والحصول على المعلومات التي أريد المتعلقة بموضوع البحث (دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث) وقد لفت نظري اهتمام المرجع محسن الحكيم بموضوع البحث وحرصه على متابعة مسعاي في ملاحقة الموضوع وتذليل المصاعب التي تعترضني وأخص منها بالذكر انزعاج أجهزة الأمن في (الوزيرية) من وجودي وحركتي ومقابلاتي.

وأذكر - فيما أذكر- أن المرحوم عبد اللطيف السجاري الملحق الثقافي في سفارة الكويت في بغداد أبلغني نصيحة السفارة بالتوقف عن البحث في هذا الموضوع داخل العراق خلال تلك الظروف ونصحني بالمغادرة الفورية وإزاء رفضي لذلك صارحني بأن السفارة لن تكون مسئولة عن أمني الشخصي

وسلامتي. ولم أكن أعلم بأن ثمة إجراء ينبغي الالتزام به قبل أن أشتغل في بحث بهذه الطبيعة وهو الحصول على بطاقة: (عدم مُمانعة) من المخابرات العراقية (الوزيرية). حتى بعد أن بلغني ذلك لم أهتم كثيرًا بالموضوع لأني كنت على يقين أن (الوزيرية) لن تمنحني بطاقة عدم الممانعة بل قد تطلب مني مغادرة العراق فورًا وهنا يتعطل بحثي تمامًا. لجأت (الوزيرية) لأسلوب المضايقة والتهديد. مثلاً أنطلق من بغداد الساعة السابعة صباحًا متوجهًا إلى النجف وعند أبواب النجف تعترضني دورية وتطلب أوراقي وتأمرني أن أعود إلى بغداد ومراجعة (الوزيرية) وفعلاً أعود إلى بغداد لكن لا أراجع (الوزيرية) بل أذهب إلى صديقي المرحوم سامي الجميلي نشتري سمك شبّوط ونستأجر (بَلَم) ونروح إلى جزره في دجلة نشوي المسقوف ونسبح في دجلة ولا نعود إلى 14 رمضان إلا بعد صلاة المغرب. وأغيب عن النجف يوم أو يومين ثم تهدأ المراقبة وأعود إلى النجف. ومن الغريب أن كل هذه المعلومات تكون عند محسن الحكيم عندما أزوره لأبلغه عن سبب تغيبي ما يعني أن هناك مصادر له في (الوزيرية).

انتعاش الكتاب في العراق:

لا أعرف الحالة الثقافية الآن في العراق لكن صيف 1968 تمكنت من زيارة (سوق السراي، والمكتبات في هذه السوق لاحظت اهتمامًا كبيرًا في عالم الكتب ومن المكتبات التي كنت أقضي فيها وقتًا طويلاً مكتبة (الخاقاني) وما تزدحم به من كتب ودراسات حول المجتمع العراقي والأدب الشعبي فيه ودووواين الشعراء العراقيين وكثير من الكتب في الفقه الشيعي والتراجم الشيعية وقد أهداني فيما أذكر (علي الحاقاني) كراسات مشوقة في الأدب الشعبي. ومن خلال الاحتكاك الفكري برواد المكتبات بسوق السراي آنذاك لاحظت أن غالبيتهم لا يتحمس في أي حوار حول موضوع دراستي (دور الشيعة) نظرًا لحساسية الموضوع في ذلك الوقت. وزودني بعض رواد المكتبات بسوق السراي أسماء بعض الكتاب والأكاديميين العراقيين المهتمين بتاريخ المجتمع العراقي وديناميًاته. واستفدت كثيرًا بهذه المعلومات لملاحقة ومتابعة (دور الشيعة) وكنت لا أتردد في مرافقة أيًا كان مشيًا على الأقدام أو عبر سيارات (العبري) للوصول إلى من يمكن أن يكون لقاؤه مفيدًا لتتبع موضوع البحث ليلاً أو نهارًا.

سرية الخُوجة:

من الشخصيات التي لا أنساها في هذه المرحلة من البحث الميداني هي السيدة الموقرة سرية الخوجة (ستّينية) وهي من الشخصيات المعروفة في بغداد خلال فترة الخمسينيات والستينيات إذ كانت سفيرة للعراق في الهند أظن سنة 1948 لقد كان العراق سباقًا في العالم العربي في الانفتاح على العالم

في كافة الصُّعد: الثقافية والسياسية والقانونية والاجتماعية والسيدة سرية الخوجة عينة من العينات التي لها سابقة في تمثيل العراق في الخارج. جلست مع سرية الخوجة جلسة طويلة أفادتني كثيرًا في ملامسة موضوع البحث (دور الشيعة) وإرشادي إلى سلسلة من القراءات المهمة في هذا المجال. ولقد ختمت السيدة سرية جلستنا بغداء بغدادي عامر: قنچة راهية من تشريب عكوس مع الطرشي البغدادي وأما الحلو فكانت صينية تركية من الكنافة المحشوة باللوز الموصلي حيث أن الموصل مشهورة بمكسراتها الفاخرة ذات النكهة المتميزة. وأما الچاي بعد كل هذه الحشيمة فكان خرافة (كما يقول إخواننا المصريون) نكهة وطقوسًا. ولقد حملتني السيدة سرية الخوجة تحياتها لأهل الكويت اعترف الآن أني قصرتُ في إيصالها لأصحابها.

الخميني في النجف..

خلال بحثي الميداني في النجف والفرات الأوسط عمومًا (صيف 1968) تنامى إلى مسمعي وأنا في النجف عن وجود مجموعة من العلماء الإيرانيين المنفيين إلى العراق. وقد أكدت معلوماتي أن لهذه المجموعة نشاطها الملموس في الأوساط الشيعية وأن خطابها السياسي يثير مشكلات للمرجعية الشيعية والكثير من صداع الرأس. والمشكلة كانت كالتالي: خطاب هذه المجموعة كان سياسيًا بامتياز وهو مشحون بالشعارات ضد الشاة ونظام حكمه وهذا أمر كانت تشجعه حكومة البعث في العراق. المرجعية ممثلة بمحسن الحكيم كانت على علاقة طيبة بالشاة ونظامه، لا بل إن نظام الشاة كان يقف مع المرجعية في حال خلافها مع حكومة بغداد. ولذا لم يكن محسن الحكيم وأنجاله عبد العزيز ومهدي ومحمد باقر مؤيدين لهذه المجموعة من العلماء

الإيرانيين والذين كان من ضمنهم الخميني. وعندما سألت أكثر أخبرني في النجف من أثق به أن لهذه المجموعة درس وحلقات في المساجد والحسينيات فعَّبرت له عن رغبتي حضور هذه الدروس والحلقات ووعدني بترتيب هذا الأمر. لكن فوجئت بعد أيام بمهدي يُثنيني عن ذلك ويؤكد أن السيد محسن مستاء من نشاط هذه المجموعة لأنها تحولت إلى أداة بيد حكومة بغداد ضد الشاة وما يتفرع عن ذلك من مشكلات بين المرجعية وحكومة بغداد. والروابط الأدبية التي كانت تربطني بآل الحكيم آنذاك دفعتني لتثمين نصيحة مهدي. ولكن شغفي العلمي البَحْث بالشيعة والتشيع دفعاني لطلب مُلخصات ما يدور في هذه الدروس والحلقات وترجمات مختصرة عن العلماء الذين يقومون بترتيب وتنظيم هذه الدروس والحلقات. ومن خلال هذه الملخصات علمت أن أبرز هذه المجموعة كان شخص يدعى الخميني وأنه صاحب بدعة لا ترتاح إليها المرجعية ولا تؤيدها وهي بدعة (ولاية الفقيه). لقد تقصيت في هذا الأمر في الأوساط العلمائية في النجف وكربلاء ولاحظت أن كبار العلماء الشيعة ومشهوريهم وأغنياء الطائفة لم يكونوا يؤيدون هذه المجموعة الإيرانية النشطة في النجف بينما يلاحظ أن صغار العلماء ومغموريهم وفقراء الطائفة وشبابها يؤيدونها ويتحمسون لطروحاتها. وخلصت أن المشهد في النجف لا يخلو من (الصراع الطبقي) الذي يؤكده آنذاك (الحزب الشيوعي العراقي) والذي أعلن تمرده على حكومة بغداد في ذلك الصيف وقاد شكلاً عسكريًا في منطقة (خور الحمار). وتحولت هذه المجموعة الإيرانية في النجف إلى صداع للمرجعية وإلى وسيلة فعالة بيد حكومة البعث (بغداد) لفكفكة المشهد الشيعي في النجف. في هذا الجو المضطرب، وجدت صعوبة كبيرة في الحفاظ على علاقاتي بكل الأطراف

التي هي معنية بالبحث إذ ينظر كل طرف للبحث من زاويته. وكان الجو مضطربًا غداة إعلان (الحزب الشيوعي العراقي) تمرده وخصوصًا في مناطق الشيعة حيث ينشط نشاطًا ملحوظًا فجاء من ينصحني بالمغادرة الفورية ولسبب لا أدريه تمسّكتُ بكل مواعيدي ولم ألغ واحدًا منها سواء التي كانت في النجف أو كربلاء أو الكاظمين (مدينة العلم) أو سامراء أو السماوة أو الديوانة أو بغداد أو البصرة أو الناصرية أو خان ضاري أو الصقلاوية وغيرها كثير.

وزارني المرحوم عبد اللطيف السجاري (الملحق الثقافي في سفارة الكويت ببغداد) في (خنبور) ولا أقول شقة 14 رمضان وقال لي بصريح العبارة: أنا خايف عليك الوضع مضطرب خصوصًا في المناطق التي تتحرك فيها يوميًا بسيارتك ذي الأرقام الكويتية. إجابتي كانت: إش رأيك أنا عازمك على مسقوف في شارع بونواس. فيضحك رحمه الله ويقول: أحر ما عندي أبرد ما عندك. كان نعم الرجل والصديق وذا ورع وخوف من الله. علمت فيما بعد أن المرجعية طلبت من بغداد ترحيل المجموعة الإيرانية من العراق لأن التوتر الذي تثير في الأوساط الشيعية العراق كان ملحوظًا إذ كانت تؤلب شباب الشيعة على المرجعية. وحتى عندما غادر خميني النجف 1978 إنما غادرها بعد إلحاح الخوئي (المرجع الذي خلف محسن الحكيم) على صدام بترحيله إلى خارج العراق.

الشيعة وفيصل الأول في الأرشيف البريطاني:

في شارع بانبري رود Ban bury Rd. في مدينة أكسفورد فيلا قديمة تحتفظ الحكومة البريطانية فيها بالأوراق الخاصة private papers لونستون تشرشل وهي أوراق من شتى الأنواع: بعضها رسمي وبعضها غير رسمي ربما قصاصة كتب عليها خاطرة وتشرتشل كما لا يخفى على القارئ كان قد تسنم مناصب عديدة: وزيرًا للمستعمرات Colonial office وزيرًا للخارجية Foreign office ورئيسًا للوزراء prime minister وهو الشخص المحوري في تعيين وتنصيب فيصل الأول ملكًا على العراق. ولقد زرت هذه الفيلا بصفتي طالب دراسات عليا في جامعة كمبردج واطلعت على أوراق تشرشل في عدة جلسات ودونت حولها عدة ملاحظات. كانت عندي وقتها سيارة VW كامبر مجهزة تجهيزًا كاملاً للمنامة والإقامة والطبخ وحفظ الطعام (ثلاجة) واتخذت منها مقرًا وسكنًا تغنيني عن الفنادق والمطاعم في تنقلاتي بين مصادر المعلومات من مكتبات ومقابلات وكانت نعم الصديق والرفيق حتى نهاية دراستي وجئت بها برًا إلى الكويت بعد الانتهاء من برنامج الدراسات العليا: أتوقف أمام هذه الفيلا في بانبري رود وأعد الشاي الساعة تقارب الثامنة صباحًا وأتناول إفطار الصباح في السيارة ثم أكون أول الداخلين إلى المكتبة.

فعلت ذلك لأربعة أيام متوالية أقضي سحابة النهار في الغرفة المخصصة لأوراق تشرشل الخاصة ولا أغادرها إلا نهاية الدوام. استرعى ذلك انتباه الحارس عند الباب فسألني مرة: أين تسكن؟ ومن أين تأت كل صباح في هذه الساعة المبكرة؟ فأشرت إلى سيارتي الـVW المتوقفة في الشارع المقابل وقلت له: أسكن هنا. ودعوته لتناول القهوة وعندما جلس الرجل العجوز الذي تجاوز الستين وأخذ يلوك تمر البرحي تلفت يمينًا ويسارًا وقال: so that explains it وكانت صداقة.

نعود إلى تشرشل إذ الملفت في أوراقه أن ما يتعلق بالعراق كانت في معظمها مراسلاته مع St. John Phil by أو من كان يُسمى بعد ذلك في الجزيرة العربية بعبد الله فيلبي. كان هذا الأخير ضابط سياسي بريطاني في بلدة في جنوب العراق (سوق الشوخ) أيام الاحتلال البريطاني للعراق 1914 - 1932 (التاريخ الرسمي للاحتلال لكن الاحتلال الفعلي استمر حتى 1958). وكان فيلبي على إطلاع جيد في شؤون العراق وفي تموجات المزاج العراقي وولاءاته المتغيرة. وكان تشرشل بصفته وزيرًا للمستعمرات colonial Secretary يبحث عن الشخص المناسب للتاج البريطاني لكي يعينه ملكًا على العراق بعد احتلاله رسميًا 11/3/ 1914 (وصول القوات البريطانية إلى بغداد بقيادة الجنرال مود Maude) فكان تشرتشل يتراسل مع فيلبي في هذا الأمر.

وكان فيلبي يقترح على تشرشل أسماء عديدة لتنصيبها على عرش العراق عبد العزيز آل سعود، السيد طالب النقيب، الشيخ خزعل، الشيخ برهان الدين (كردي)، عبد الرحمن الكيلاني وغيرهم. وكانت مهمة فيلبي - بتكليف من تشرشل- بقياس ردود أفعال العراقيين على هذه الترشيحات. وتبين في نهاية المراسلات أن لكل مرشحًا من هؤلاء عيوبه التي تحول دون تنصيبه ملكًا على العراق بالنسبة للمصالح البريطانية في العراق.

النقطة الثانية: التي اتضحت من خلال استشعارات فيلبي (وهو رجل مخابرات موهوب في فهم العرب) أن العراقيين لم يجمعوا على عراقي من داخل العراق لأن بينهم ما صَنَع الحداد ولذلك بدأ الاثنان (تشرشل وفيلبي) يبحثون عن مرشحين خارج العراق: ولأن لفيصل الأول تجربة في دمشق و إن لم تكن ناجحة طرح فيلبي اسمه كمرشح محتمل لعرش العراق. وكان لفيصل الأول

شعبية بين العرب داخل العراق وخارج العراق وكانت شخصيته متوازنة وهادئة وغير عدوانية وقد حضر عدة مؤتمرات في بريطانيا وفرنسا وتلقى تدريبًا سياسيًا فيها ارتاح تشرشل لهذا الترشيح ولم تكن الأجواء مشجعة لذلك خاصة بين العوائل البغدادية التي ترى أحقيتها في ذلك. فانتبه فيلبي إلى ضرورة كسب الشيعة لهذا الترشيح فنسج اتصالات مكثفة مع المرجعية في النجف وتبين أن الشيعة متحمسون لترشيح فيصل الأول لسببين رئيسين في منظور الشيعة.

أولهما: أنهم ينظرون لفيصل الأول (بني هاشم) سليل آل البيت.

وثانيهما: أن ليس لفيصل الأول عداوات متوارثة داخل العراق. ولذلك نشطت جرترود بل Gertrude Bell بالترويج لفيصل الأول قبل قدومه. وكانت الآنسة بل (سكرتيرة المندوب السامي بيرسي كوكس p. Cox) أو «الخاتون» كما شاع في بغداد آنذاك تلعب دورًا مهمًّا للغاية في مجال العلاقات العامة PR لسلطات الاحتلال البريطاني للعراق. ولأن الشيعة كانوا أكثر سكان العراق حماسًا لفيصل الأول اهتم الأخير بشؤونها ومناطقهم وكتب تقريرًا شهيرًا حولهم رفعه إلى سلطات الاحتلال يوصي بريطانيا بهم خيرًا ويحث بريطانيا على الاهتمام بشؤونهم عامة. وكان لهذا التقرير أثره الواضح فيما بعد إذ يلاحظ حرص فيصل الأول على إدماجهم في الوزارات العراقية التي تشكلت في ظله واعتبرتهم الإدارة البريطانية حليفًا استراتيجيًا في المنطقة.

مكتبة كمبردج المركزية:

تحوي هذه المكتبة التي كانت المحطة اليومية لنا كطلبة دراسات عليا لا يقل عن عشرة ملايين مجلد وكتاب. وبناؤها المهيب يفرض على الداخل إليها نمط معين من السلوك وأهمها (الهدوء) وفعلاً هو هدوء ملفت يضيف الكثير من المهابة فالناس هنا يتهامسون لا أبالغ. ولا يحق لك الدخول إلا ببطاقة عضوية أحد كليات الجامعة وهي بطاقة تمنح لك مدى الحياة وتتجدد كل عشر سنوات. طبعًا ممنوع الأكل والشرب داخل أروقة وطبقات المكتبة إذ إن هناك كافيتريا خاصة بذلك. وأي خروج أو شذوذ عن هذه القواعد تعرض عضويتك لخطر الإلغاء. التفتيش عند الدخول إجراء روتيني التدخين بكل أشكاله ممنوع حتى داخل الإدارة؛ أي إدارة المكتبة. هناك كثير من الأقسام في هذه المكتبة لكن الذي كان يشدني أكثر هو القسم الذي تودع به كل بحث دكتوراه إجازته الجامعة فتخيل أن عمر الجامعة تقريبًا الألف عام (تأسست 1209) كمية البحوث الموجودة في هذا القسم في شتى التخصصات يا لها من ثروة علمًا بأن بعض الباحثين اشترط على الجامعة بعض الشروط الفكرية المتعلقة بمن يطلع عليها. أما الخدمات المتوفرة في المكتبة فمتنوعة. ويتفرع عن هذه المكتبة 114 مكتبة منثورة في جميع الكليات الواحد والثلاثين ويدخل في دليل هذه المكتبة سنويًا 80.000 كتاب، أشبه هذه المكتبة المركزية بمثابة القلب للجامعة القلب الذي يضخ الدم في جسد الجامعة ويحافظ على لياقتها واستمرار حيويتها ونماءها. كما أنها تشكل قاعدة الناشطين فكريًا ومن يستمع حوارات الطلبة في الكافيتريا وخصوصًا طلبة الدراسات العليا يلحظ ذلك.

ليس الشيعة أغلبية في العراق:

شكّكَ الأكاديمي «الشيعي» محمد جواد علي رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة بغداد على هامش حديث مع المبعوث الخاص لوكالة «قدس برس» إلى العراق في كون الشيعة يمثلون أغلبية العراقيين. وذهب إلى كون نسبتهم تتراوح بين 40 و45 في المائة، في حين مثل أهل السُنة نحو 53% و2 % للعراقيين غير المسلمين. ويقول الموفد الخاص لخدمة «قدس برس» نور الدين العويديدي: شكّكَ أكاديميون عراقيون «سُنة وشيعة» في صحة الإحصاءات التي تجعل من شيعة العراق أغلبية بين العراقيين. في حين أظهرت إحصاءات لعدد نفوس سكان المحافظات العراقية، أعدتها منظمة إنسانية دولية موثوق بها «Humanitarian Co. Ordinator for Iraq» تفوقًا غير كبير لعدد السُنة في العراق على أشقائهم من أتباع المذهب الشيعي. وضعت هذه الإحصائية أصلاً لتوجيه العمل الإنساني في العراق في ظل الحصار. وتتعلق بإحصاء نفس سكان المحافظات العراقية عام 1997م. وتورد هذه الإحصائية الأرقام التالية لعدد السكان في المحافظات العراقية الثماني عشرة (من الشمال نزولًا إلى الجنوب: (انظر: The New Iraq – Joseph Braude – 2003 p.296 ترجمة نمير مظفر) :

عدد السكان	محافظة	نسمة	نسبة السُنة
//	دهوك	402,970	98%
//	نينوى	2,042,852	91%
//	أربيل	1,095,992	98%
//	التأميم	753,171	90%
//	السليمانية	1,362,739	% 98
//	صلاح الدين	904,432	% 99
//	ديالي	1,135,223	% 65
//	الأنبار	1,023,736	% 99
//	بغداد	5,423,964	% 61
//	كربلاء	594,235	% 5
//	بابل	1,181,751	% 25
//	واسط	783,614	% 15
//	القادسية	751,331	% 1
//	النجف	775,042	% 1
//	المثنى	436,825	% 2
//	ذي قار	1,184,796	% 5
//	ميسان	637,126	% 1
//	البصرة	1566445	% 35

على ضوء هذه الإحصائية يمكن التوصّل إلى النتيجة التالية:

أبناء السُنة ينتشرون في ثماني محافظات هي: (دهوك، ونينوى، وأربيل، والتأميم، والسليمانية، وصلاح الدين، وديالي، والأنبار «مع وجود شيعي قليل في هذه المحافظة») ومن ثم يبلغ العدد التقريبي للسُنة في هذه المحافظات 8,721,115 نسمة مع زيادة نصف سكان بغداد لهم و يبلغ عدد هذا النصف 2,711,982 نسمة ليصبح عددهم التقريبي 11,433,097 نسمة.

أما الشيعة فينتشرون في تسع محافظات هي: (كربلاء، وبابل، وواسط، والقادسية، والنجف، والمثنى، وذي قار، وميسان، والبصرة «مع وجود سُني قليل»). ومن ثم يبلغ عددهم في هذه المحافظات مع إضافة نصف عدد سكان بغداد - وهم من الشيعة - 10,623,147 نسمه، وهو ما يعني أن عدد أبناء السُنة يزيدون بـ 809.950 نسمة.

الحياة الاجتماعية في كمبردج:

● بالإضافة للنشاط العلمي في كمبردج ومتابعة بحث الأطروحة وتفريعاته هناك حياة اجتماعية نشطة وشائقة. فهناك الجمعية العربية التي تضم الطلبة العرب ومن خلالها يحرص الطلبة العرب التواصل مع القضايا العربية وبالأخص (فلسطين) وتوزيع جريدة (Free Palestine) وكذلك التواصل مع منظمة الطلبة العرب في لندن وتحريك المسيرات والمظاهرات في ميدان الطرف الأَغَرّ S.q Trafalgar. وكان الجو السياسي داخل الجمعية العربية في كمبردج متحمسًا للمقاومة الفلسطينية وكان الطلبة العرب يجمعون التبرعات الرمزية لصالح المقاومة الفلسطينية. آنذاك 1969 كان أبرز من في الساحة هو منظمة فتح بزعامة ياسر عرفات وكنت على وشك السفر إلى الكويت لقضاء بضعة أساب يع بين الأهل فحملوني زملائي الطلبة العرب مبلغًا رمزيًا لا يتعدى الألف جنيه كمساهمة طلابية رمزية في دعم المقاومة وطلبوا مني تسليمها لياسر عرفات نظرًا لتردده الدائم على الكويت في ذلك الوقت. وعندما وصلت الكويت ذهبت لزيارة المرحوم يوسف عميرة (أبو نادر) في بقالته اللصيقة بمبنى الخطوط الجوية الكويتية وهو فلسطيني من غزة وعلى اطلاع تام بأحوال المقاومة الفلسطينية. رحب بي المرحوم أيما ترحيب وبعد الضيافة فاتحته بشأن المبلغ الذي معي كأمانة من الجمعية العربية في كمبردج وطلبت منه تسليم المبلغ لياسر عرفات. فصاح بي أبو نادر: شو بدك بها لترس والله ما راح يضيع فلسطين إلى الأبد إلا هذا وأمثاله. ألححت عليه فتسلم المظروف مني واتصل أمامي بالهاتف وسمعته يقول للطرف الآخر: فيه تبرع من الطلبة في إنجلترا لكم ابعثوا حد يستلمه ثم قال لي أبو نادر: لا تحرجني يا عبد الله مرة ثانية معهم لأنهم يعرفون رأي

السلبي بهم وبزعيمهم ياسر عرفات. أخبرت الأخوة في الجمعية بما جرى ومع ذلك أصروا على جمع التبرعات لفتح وكنا نرسلها في بعض الأحيان مع طيار كويتي على الخطوط الكويتية (كابتن ف. س) والذي كان يقيم في (فندق برتيانيا Brittania) في ميدان غروفنور Grosvenor Square في لندن والحقيقة كنا نسمع كلامًا سلبيًا عن ياسر عرفات ومنظمة فتح منذ تلك الفترة 1969 لكن كنا نتردد في قبول ذلك وقتها أما بعد أن انكشف المستور وبعد (أوسلو) فلا نقول إلا يرحمك الله يا أبا نادر لقد بلغت وأحسنت.

● عالم آخر في كمبردج هو عالم المرحوم أحمد العسال والشهيد حسن عبد الحميد والشهيد عمرو النامي وإبراهيم عمر. فالأول من مصر والثاني من فلسطين والثالث من ليبيا والرابع من السودان والخيط المشترك (الإسلام) عندما أسعد برفقتهم أشعر وكأنهم قد تربوا في قرية واحدة؛ فالتعددية الثقافية والاجتماعية والبيئة والسياسية تُفْضِي إلى ثراء إذا كانت ملتزمة بالإسلام، أما إذا كانت (التعددية) منفلتة وكل يؤكد على خصوصيته فحتمًا تؤدي إلى ضعف وتفكك وهوان. لقد رافقت وزاملت وتآخيت مع هؤلاء الأربعة في كمبردج ولمدة سنوات فكانوا نعم القدوات ونعم العناوين للإسلام. وكانت لقاءات بيننا وحوارات ومشاركات أثرت التجربة الإسلامية الحركية العملية. فأحمد -المرحوم بإذن الله- أكبرنا سنًا وأقدمنا سبقًا في الإسلام والدعوة إليه تحلى بالأناة والمثابرة والصبر على الأمر والتسديد والتقريب وكان يخطب بنا يوم الجمعة في تلك القاعة التي أعارنا إياها الـGuild hall المجلس المحلي لعدة ساعات يوم الجمعة لأداء فريضة الجمعة. وأما الشهيد حسن (أبو منذر) فقد عركته فلسطين وسخونة غزة وتجربة الحياة الإيجابية في الكويت فسطع صدقًا وروحًا ومناقبه وكان حنونًا دافئًا

دائم النصح لإخوانه بالتأني وحسن الظن بالناس والمحيط والزمان والقدر والتذكير بأن (الأمر) كله لله في البداية والنهاية. وأما الشهيد عمرو فهو من (نالوت) ليبيا التي رثاها بقصيدته (اليتيمة) عشية انقلاب القذافي 1969 وكان دائم التحذير من العسكر في الحكم وكان يصدع بذاك الرأي يوم انتفاش العسكر في العالم العربي ويوم انتفاش القذافي في ليبيا. وأما إبراهيم فهو يمثل بصدق الانفتاح الفكري السوداني الذي بَزَغَ في السبعينيات وشاع بين النخبة العربية والإسلامية فتراه كثير الاستماع والإنصات وتقليب الأمور والآراء والنظر في الحلول وكأنه يرسم دورًا له في مستقبل السودان دور لصالح الإسلام في هيكل الدولة وقد كان وسط هذا الرهط كنت أتلقى الدروس والعبر والتربية الفكرية والعملية ولا تزال آثار تلك الرفقة تحرك في النفس والذاكرة أشجان وأشجان.

الحصول على الشهادة والامتناع عن حضور حفل التخرج

● عندما انتهيت من كتابة الأطروحة (دور الشيعة في تطور العراق السياسي) وأجازها المشرف البروفيسور ر.ب. سارجنت R.B. Serjeant وتم تحديد تاريخ المناقشة والمناقشين أحدهم من كمبردج R.L Bidwell وآخـر من جامعة أكسفورد من كلية سانت أنتوني St Anthony دكتور رديريك هوبوود Derek hopwood وبتوفيق الله وفضله تمكنت من النقاش وطرح الموضوع على المناقشين وكانت أمام كل واحد منهما نسخته من الأطروحة (420 صفحة) ولقد ناقشوا الموضوع بتمهل وبتفاصيل. وبعد أن أشبعوا الموضوع نقاشًا وتقليبًا لمدة أربع ساعات على مرحلتين (10-12) ثم بعد الغداء (2 - 4). بعدها

طلبوا مني الانصراف للتداول وقالوا بعدها أن الأمر يسير سيرًا مشجعًا وإيجابيًا positive promising والنتيجة -قانونًا- يبعطيك إياها المشرف عليك رب سارجنت وقد حصل ذلك من الغد. بالإضافة للخبر السار الذي أبلغني إيّاه سارجنت أخبرني أيضًا أن أستعد لحفل التخرج في مبنى الـ senate اللصيق لترنيتي Trinity فسألته عن حفل التخرج وما يحدث به فقال: طبعًا سيكون برعاية الملكة وبحضور مندوب عنها وربما الأمير تشارلز الذي كان وقتها يدرس في الجامعة نفسها ويقيم في كلية كنغز kings وكذلك حضور بطريرك كانتربري archbishop of Canterbury وتستلمون الشهادة من أحدهما وبعدها يقف البطريرك يلقي قسم كمبردج Cambridge Oath وتكررونه وراءه ثم يقف مندوب الملكة ويطلب منكم أن تشربوا نخب بهذه المناسبة فأخبرت سارجنت أنه من المستحيل أن أحضر هكذا مناسبة أو أن أفعل شيئًا من هذا ولذلك أفضل أن لا أحضر وأتسلم الشهادة مباشرة من مجلس الدراسات العليا Board of Groduate studies حاول أن يقنعني لكن إزاء إصراري على الرفض تَسلَّم مشكورًا هو الشهادة نيابة عني وأرسلها إلي بعد أن غادرت إلى الكويت.

وانتهت بذلك مرحلة الدراسة في جامعة كمبردج 1972.

الكويت

1972 - 1978م

● كان سروري بالعودة إلى الكويت لا يوصف. وأخيرًا - قلت لنفسي- ها قد عدنا للوطن والأهل والاستقرار. أول عمل حرصت عليه هو التواصل مع الجامعة: قسم العلوم السياسية إدارة الجامعة. سعدت بزيارة القسم ثاني يوم وصولي (شتاء 1972) وكان يرأس القسم آنذاك المرحوم بإذن الله د. إبراهيم صقر (سفير مصر السابق في الحبشة) رجل مخضرم ومجرب في عالم السياسة تعلمت منه الكثير في الشؤون الإفريقية رحب بي أيما ترحيب ودعاني لمرافقته إلى الفصول التي كان يدرس بها وعرفني على طلبته. والتقيت كذلك بالدكتور حسن الإبراهيم الذي وصل قبلي لبضعة أشهر من الولايات المتحدة وكان وقتها يُدّرس مادة العلاقات الدولية في القسم ويتمتع بشخصية دبلوماسية ناعمة وذائقة خاصّة لا تخطؤها العين. وتعرفت على زملاء آخرين في القسم.

ثم ذهبت لأتواصل مع مدير الجامعة آنذاك د. عبد الفتاح إسماعيل وأمين عام الجامعة الأستاذ أنور النوري اللّذان رحّبابي كما كنت أتوقع منهما.

ملاحظات حول الجامعة:

● الجامعة هي مؤسسة تعليم عالي هكذا أفهم. طرفا الجامعة هيئة تدريس يُعلّمون وطلبة يتلقون. هكذا أفهم المهمة الرئيسية لهذه المؤسسة هي (التعليم العالي) ولذلك ينبغي أن تصرف الميزانية لهذا الغرض ولخدمة هيئة التدريس والطلبة وبالتالي خدمة المهمة: التعليم العالي و(الإدارة الجامعية) هي الجهة التي تنظم هذه العملية وتخدمها وتشرف عليها وتزيل العوائق من طريقها أول ملاحظة لاحظتها من أول أسبوع من وصولي هو أن هناك تضيقًا ماديًا واضحًا على طرفي المؤسسة المهيمن: هيئة التدريس والطلبة. في المقابل هناك توسيع مادي للإدارة والإداريين. كمثال: الأقسام العلمية (علوم سياسية- اقتصاد- فيزياء- كيمياء... إلخ) ضيقة للغاية من حيث المساحة المتاحة لها ومزدحمة للغاية بحيث إن الأستاذ لا يتمتع بأكثر من مترين في مترين بينما الإداري في الخالدية يتمتع بمكاتب واسعة ومريحة ربما هو بغير حاجة لها. دعم هيئة التدريس والبحث العلمي في القسم ضعيف للغاية ودعم الطالب منعدم تمامًا بينما (الإداري) يلقى كل دعم يطلبه إذ هو صاحب القرار في الجامعة وليس هيئة التدريس والطلبة الذين بدونهما لا تكون الجامعة، الوضع مقلوب ولابد من تعديله. قلت لنفسي: لابد من حركة نقابية لتقوية هيئة التدريس والمطالبة بحقوقها ولتقوية دور الطلبة والمطالبة بحقوقهم إزاء (الإدارة) التي تبتلع ميزانية الجامعة. الغلط غلط والمرء لا يحتاج لوقت لاكتشافه قلت لنفسي:

الملاحظة الثانية حول الجامعة هي عدم استقلال القرار فيها عن الحكومة إذ إن الجامعة - وهي مؤسسة تعليم عال- تابعة تبعية كاملة للحكومة- ممثلة بوزير التربية والتعليم الذي يرأس مجلس الجامعة- وتخضع لتموجات السياسة

المحلية والضغوطات الإدارية التي تتفرع عنها ومزاجية المسئول السياسي الغارق باليوميات التنفيذية والذي ليس لديه وقت للنظر في الأبعاد المنهجية لعملية التعليم العالي. كل شيء في الجامعة خاضع لإدارة الحكومة وتوجيهها: من التعيينات في المناصب القيادية إلى التدخل في مقررات التدريس ومراجعها. فالمناصب القيادية في الجامعات التي تحترم نفسها إما أن تكون بالأقدمية seniority أو بالانتخاب بين أعضاء هيئة التدريس elections والحكومة عندنا لا تقبل لا بهذا ولا بذاك وتصر على أن يترك هذا الأمر (للمسؤول) وعلى حد تعبير وزير تربية سابق وكان يرأس المجلس الأعلى في الجامعة عندما سألته عن هذا المسئول ورفضه لمبدأ (الأقدمية) أو (الانتخاب) قال لي بكل ثقة: (يا أخي كيفه هاذي الجامعة مالته) هكذا قالها بالحرف فهو - أي المسئول- حر في تعيين من يشاء في الجامعة بغض النظر عن إرادة هيئة التدريس والعاملين في الجامعة. بعض النسوة يضربن موعدًا مع المسئول ويدخلن عليه ويشبعنه مدحًا وشعرًا ويطلبن منه أن يعين فلانة مديرة للجامعة فكان لهن ما طلبنه. هذا التنظيم الصحراوي للقرار لا يزال معمولاً به في الجامعة فإرادة (المسئول) فوق الجميع ولا نظام للأقدمية ولا للانتخاب. هذا الحال حول الجامعة إلى (عزبة) للمسئولين الذين يتحركون وفق حسبة بعيدة تمامًا عن مصلحة التعليم العالي. هذا الحال لا ينصلح إلا باستقلال الجامعة عن الحكومة استقلالاً تامًا كشأن الجامعات المحترمة في العالم المتقدم.

والملاحظة الثالثة: جامعتنا قامت وتأسست 1967 وهي جامعة حديثة جدًا بالقياس للجامعات العريقة (القاهرة تأسست 1820، كمبردج 1209 أكسفورد 1249، بغداد 1908، هايدلبرج (ألمانيا) 1386، باريس 1253) كأمثلة.

ولذا كان من المفترض أن تبدأ من حيث انتهى الآخرون لا أن تبدأ من حيث بدأ الآخرون بمعنى ألا تكون نسخة من الجامعات الأخرى في العالم العربي من حيث تنظيمها الإداري وخطتها العلمية وطموحها الإقليمي والمنطقي. أقصد أن الجامعة ينبغي أن تلبي حاجة السوق المحلية وتعكس شخصية الإقليم أو البلد فمن المعلوم أن الكويت دولة تطل على البحر ودولة مصدرة للنفط؛ ولذا كان من المتوقع أن تركز الجامعة على البحر والنفط: علوم البحار وعلوم النفط وتجارة البحار وتجارة النفط وتصنيع البحار وتصنيع النفط وإنتاج الاختصاصيين في هذين المجالين بدلاً من استيراد الخبرة الأجنبية في هذين المجالين وانشغال الأجيال الشابة بدراسات لا تسمن ولا تغني من جوع. ومن يتأمل (بالأقسام العلمية) في جامعتنا (خاصة في تلك الفترة 1972 - 1978) سيلاحظ أن عناوينها تقليدية بل موغلة في التقليدية ولا تلبي حاجة سوق العمل إلى درجة أن عددًا كبيرًا من خريجي الجامعة في تلك الفترة لا يجد أن مؤسسات الدولة بحاجة إليه. وضع كهذا كان يستدعي إعادة النظر الشاملة في الخطة العلمية للجامعة بحيث تتناغم مع حاجة السوق المحلية وهذا يقتضي إغلاق كليات بكاملها مع أقسامها وتأسيس كليات جديدة بأقسامها الجديدة وهيئة تدريس جديدة بتخصصاتها الجديدة ويبدو أن الحكومة والمسئولين ليس لديهم الجرأة والجسارة الأدبية لخطوة كهذه.

المناخ العام في الجامعة:

● على صعيد هيئة التدريس يلاحظ أن أغلبية أعضاء هيئة التدريس من الأخوة المصريين. ولأنهم أغلبية كان بالطبع لذلك أثرة على (المرجعية العلمية) فنلاحظ أن أغلب المراجع والمعارف والمناهج السائدة في تفسير

الظواهر العلمية كانت متأثرة كثيرًا بالمدرسة المصرية. وهذا أمر طبيعي وناتج من حالة موضوعية كانت سائدة في جامعة الكويت. مصلحة الجامعة في الكويت كانت تقتضي تنويع هيئة التدريس والحؤول دون أغلبية محددة وذلك لإثراء المرجعية العلمية في الجامعة.

● على صعيد الطلبة كان هناك صراع سياسي مستعر بين ما يُعرف عندنا باليسار والليبراليين من جهة وما يُعرف بالإسلاميين من جهة أخرى. كل طرف يحاول السيطرة على الاتحاد الوطني لطلبه الكويت. كانت الأغلبية تدور في مَدَار الفريق الأول: وهو فريق يُعاني من فوضى فكرية وميوعة سلوكية وشرذمة تنظيمية وعدم وضوح من حيث القيادات والرموز. أما الأقلية (الإسلاميون) فكانوا يتمتعون (بمرجعية) فكرية ودليل نظري وإرشادي وبقدرة على تنظيم صفوفهم والالتزام بهدف (الاستيلاء) على المنظمة الطلابية، وما يستدعيه من اصطفاف حركي يؤدي إليه.

● لقد توغل الفريقان في صراع سياسي - ولا أقول نقابي - وكانت مواقفهما تعكس مواقف مجموعات وأحزاب سياسية خارج الجامعة وأهمل الطرفان مشاكل وموضوعات الجامعة والتعليم العالي وانغمسا في مناكفات لا أول ولا آخر لها. وكان من الواضح أن هناك جهات غير بعيدة عن الحكومة تحرض على هذا التقاطب وكان من الواضح أيضًا أن الطرفين لم ينجحا في تجاوز العتبة الحزبية. وقتها لم تنتشر ظاهرة (الحجاب) ولا ظاهرة (اللحى) بين الطلبة. وعُقدت ندوات في الجامعة تعكس هذه الحالة القلقة ومنها (ندوة الاختلاط) الشهيرة (أظن 1972) وتحدث فيها من يؤيد الاختلاط ومن يعارض الاختلاط بين الطلبة والطالبات واصطدم الطرفان بالأيدي والكراسي لأن الطرفين لم يتسلحا بالزاد (الفكري) الذي يحتاجونه للنجاح في الحوار فكان

(الحوار!!) بالأيدي والكراسي. الذي زاد الطين بله هو تعليق بعض الصحف والمجلات (وخصوصًا الأسبوعية «الطليعة») لسان حال اليسار في الكويت والتي وصفت الطلبة الإسلاميين في الندوة بـ(القرود) وهي لهجة تعكس حالة (الاستعلاء) التي كانت تعاني منها المجموعات اليسارية كافة في الكويت والخليج عندما تأتي سيرة (الدين والمتدينين). أذكر أن هذه الندوة والتحريض الإعلامي الكويتي على المتدينين كانت علامة فارقة في الجامعة إذ حسمت الأمر لدى الإسلاميين بضرورة الإمساك بالحالة كلها في الجامعة. وللأمانة التاريخية هنا كنت أجد نفسي متعاطفًا مع الطلبة الإسلاميين بحيث كثرت زياراتهم لي في مكتبي بقسم العلوم السياسية يستشيرونني في شؤونهم الطلابية وكنت أجتهد في نصحهم وأحيانًا تحريضهم على العمل المباشر.

● كان يرأس قسم العلوم السياسية - وقتها 1972 - 1974 - الأستاذ الدكتور إبراهيم صقر رحمه الله (ذكرته سابقًا) وهو - مع خالص تقديري له- ذو نزعة ناصرية مع مسحة يسارية وكانت تدور بيني وبينه حوارات ماتعة في مكتبه حول عبد الناصر والناصرية واليسار (المصري بالذات) وكنا نختلف لكن الرجل كان يتمتع بروح طيبة فيها كثير من السماحة والأبوة (فالفارق بيني وبينه في السن لا يقل عن ربع قرن). أبديت له رغبتي في أن أضيف إلى مقررات القسم مقررًا جديدًا وهو (الفكر السياسي الإسلامي) وأن ألتزم شخصيًا بتدريسه فوافق على الفور. إذ لاحظت أن القسم يدرس مقرر (النظرية السياسية political Theory) ويبدأ من مرحلة الإغريق ومن الرومان والعصور الوسطى والفترة المعاصرة أي يبدأ من أفلاطون وأرسطو وسقراط مرورًا بجون لوك وهوبز وميل وروسو وفولتير إلى ماركس وماو، دون أي التفاتة في رصد النظرية السياسية عند ابن خلدون

وأبو يعلى الفراء والجويني وابن قيم الجوزية وابن تيمية والماوردي وعبد القاهر البغدادي وابن حزم وغيرهم من المعاصرين أمثال طارق البشري ومحمد عمارة والشهيد سيد قطب والشهيد عبد القادر عودة وغيرهم. استقطب هذا المقرر عددًا كبيرًا من الطلبة والطالبات وكنت أشدد في التدريس على أننا أمة كبيرة تمتد ما بين نواكشوط وجاكرتا وحَكَمْنا ما بين سينكيانج في الصين وبواتيير في جنوب فرنسا ولذا لابد من إحياء مرجعيتنا الفكرية وخصوصًا في علم السياسة وأنه من العبث تدريس مقرر (نظام الحكم في الكويت) ونغفل عن القاعدة العلمية والفكرية لنظام الحكم في الإسلام. وكنت - متعمدًا- أسمح للجميع بالحضور المسجلين عندي وغير المسجلين لتصل رسالتي إلى فوق وعبر قنوات رسمية حكومية بعضهم يعمل في الإدارة وآخرون في ما يسمى (أمن الدولة) و(المباحث).

وفي محاضرة عن (المال العام في الدولة الإسلامية) والقيود العامة للتصرف به وعن مدى حق (ولي الأمر) فيه سردت للطلبة ما يقوله السيوطي في تاريخ الخلفاء وكيف أن أبا عبيدة بن الجراح[1] منع أبا بكر (البزار) من دخوله السوق بعد انتخاب خليفة للمسلمين وقال له: اجلس في بيتك نفرض لك من بيت المال. ففرض له أبو عبيدة (شطر شاة وبضعة دراهم تطعمه وعياله). وقلت للطلبة إن في هذا الموقف فقه عظيم شرعي سياسي إذ مُنع ولي الأمر من الجمع بين الحكم والتجارة وعرض له (الحد الأدنى) من حاجاته اليومية وهو عكس تمامًا ما هو حاصل اليوم في العالم الإسلامي ومن ذلك الكويت. وقف أحد الطلبة وسألني: ما حكم إذن المخصصات الشهرية التي يتلقاها أبناء الأسرة الحاكمة وأعدادهم بالألوف؟ قلت له: أقول وبالله التوفيق أنه

(1) أبو عبيدة بن الجراح أمين بيت المال في الدولة الراشدة.

ليس من حقهم هذا المال ولا تجوز شرعًا هذه الممارسة في مساء ذلك اليوم جاءني إلى منزلي (إ. د. ص) من أبناء الصباح ويعمل في الديوان الأميري وقال لي: أنا مُكلف من الشيخ (ج. أ. ص) رحمه الله لاستوثق منك شخصيًا أنك قلت في محاضرتك اليوم أن المخصصات التي تصرف لأبناء الصباح شرعًا لا تجوز وليس لهم أي حق في المال العام؟ فقلت له: نعم قلت ذلك. فقال: هل أنقل هذا التأكيد للشيخ؟ فقلت له: أنقله ولك الشكر. أدركت بعدها أن محاضراتي مرصودة وأن لها صداها ابتداءً من الطلبة وصولاً إلى الديوان الأميري فبدأت أنظم الطّرح ليُلامس الحالة الكويتية (موقف الشرع الإسلامي من احتكار الأراضي- ومن تكافؤ الفُرص ومن الجمع بين الحكم والتجارة ومن تداول السلطة وغير ذلك من المواضيع المبهمة لكثير من الناس) وكنت أحرص تمام الحرص أن لا أقول قولاً إلا مستندًا على الكتاب والسنة باعتبارهما المراجع الرئيسة للتشريع الإسلامي (ومنه الفكر السياسي الإسلامي).

توترت علاقتي بالسلطة دون قصد مني ودون اختيار مني وكنت أثير هذه القضايا في ثنايا محاضرات (الفكر السياسي الإسلامي) من باب الأمانة الفكرية والنصح والتوجيه وليس من باب التحريض كما يظن (وعاظ السلاطين) عندنا في الكويت الذين يكتبون المقالات المطولة حول (أسرة الخير) تزلّفًا ومداهنة للسُّلطة.

المائدة المستديرة 1973:

اتصل بي هاتفيًا مسؤول كبير في وزارة (الإرشاد والأنباء) هكذا كانت تُسمى وقتها وطلب زيارتي فرحبت به. أخبرني أن الشيخ جابر العلي رحمه الله وزير الإرشاد والأنباء يرغب منك أن تقدم في تليفزيون الكويت برنامجًا أسبوعيًا (فكريًا - سياسيًا) فهل توافق؟ قلت له: بل أرحب شاكرًا له ولك هذه الثقة. وهكذا بدأت العلاقة بالأخ محمد السنعوسي الذي رعى هذه البادرة من بداياتها وأخذني للقاء الشيخ جابر العلي رحمه الله في مكتبه في الوزارة (المبنى المقابل الآن لغرفة التجارة). لأول مرة ألتقي هذا الرجل لقد لفت نظري اهتمامه بالفكر وبالمطالعة وبالحوار وشعرت بتشجيع كبير وهو يوصي الأخ محمد السنعوسي خيرا بي وبفكرة البرنامج. وكان مشوار هذا البرنامج الأسبوعي إيجابي ويدخل في خانة البرامج الناجحة بتوفيق الله. لقد أجريت لقاءات (بالأسود والأبيض) مع الرئيس السادات رحمه الله وبيار الجميل رئيس حزب الكتائب في لبنان وكميل شمعون الرئيس الأسبق للبنان وكمال جنبلاط رئيس طائفة الدروز والإمام موسى الصدر زعيم حركة لمحرومين والذي خطفه القذافي فيما بعد وياسر عرفات ووضعت قائمة طويلة من الشخصيات الفكرية والسياسية والحزبية والتخطيط للقاءات معهم لكن اللقاءات لم تتم لأن البرنامج توقف فيما بعد لسبب لا أذكر ما هو بالضبط.

ظفار 1975:

● كانت نبرة القوميين واليساريين برعاية عبد الناصر في الخمسينيات والستينيات عالية للغاية، لم يكن في هذا الأمر مشكلة بالنسبة لي، بل إنه حالًا موضوعيًا بوجود المظلة السياسية التي كان يُشكّلها نظام عبد الناصر وآلته الدعائية الباطشة. لكن بعد هزيمة حزيران 1967 تسلل (للقوميين العرب) وهذا هو الاسم التقليدي لهم إذ ذاك -أقول تسلل الفكر المادي الماركسي الملحد الذي يستهزئ بالدين وأهله لا بل يعتقد أن هزيمة حزيران سببها الإسلام وما يسميه أقطابهم بـ (الفكر الغيبي) و(الرجعي) و(الظلامي)، أكثر من ذلك ساد بينهم وهم سياسي بأنه لا سبيل إلى تجاوز الهزيمة أمام إسرائيل إلا بعد أن نفرغ من (تجديد) أنفسنا (وتحريرها) من الدين والله سبحانه وتعالى ومقرراته ولذلك راجت بينهم كتب صادق العظم وأمثاله من الملاحدة. ومن ثمار هذه الحالة ظهرت مجموعات القوميين العرب في الكويت والخليج والجزيرة العربية.

ووجد الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية -وقتها- الفرصة مناسبة لاختراق مجتمع الخليج والجزيرة العربية عبر هذه المجموعات من القوميين العرب واليساريين وظهرت مقولات خطيرة بينهم حول الدين وأهله والعلاقة بين الرجل والمرأة ودور الدولة في صياغة الفكر المادي والولاء السياسي وضرورة الانعتاق من الأعراف السائدة في المجتمع وتقليص الشحنة الدينية في التعليم والتربية وغير ذلك من الأفكار الاستفزازية.

● لقد تركز أثر هذه الحالة في الجزيرة العربية في أقصى الزاوية الجنوبية للجزيرة العربية وبالذات في عدن. وأثر صراع دام بين الفرقاء السياسيين

في جنوب اليمن تمكنت هذه المجموعات الخليطة من القوميين العرب والماركسيين الإمساك بالسلطة وصارت عدن في تلك الفترة أهم قاعدة لهم وابتداء من 1969 ملتقى لهم لا بل قاعدة فكرية ومعسكر تدريب سياسي وتنظيمي وعسكري وكثرت رحلاتهم إلى هناك ووجدنا صداها في مجلات وجرائد وصفحات لهم انتشرت في الخليج وخصوصًا في الكويت أذكر عندما بدأت تدريس مادة (الفكر السياسي الإسلامي في جامعة الكويت في تلك الفترة 1974 عندما أخرج من المحاضرة يتبعني طالبان من الطلبة المحسوبين على هذه المجموعات وهما يهتفان (تسقط الرجعية) فبدأت أتقصى هذه (الحالة المرضية) في الخليج فوجدت أنه في عدن تأسست (الجبهة الشعبية لتحرير الخليج والجزيرة العربية) تتخذ من عدن مقرا لها. فحصلت على أدبياتها (منشورات وملويات وكراسات وصور) وقابلت عددا من قياداتها وأتباعها في بيروت (شارع عبد العزيز) بصفتي رئيسا لقسم العلوم السياسية في جامعة الكويت. وخلصت إلى التالي:

1- لا خلاف مع هؤلاء أن ثمة طغيان سياسي وسوء توزيع للثروة واحتلال أجنبي في شريط النفط في الخليج.

2- ولا خلاف أن القرار الاستراتيجي في هذا الإقليم هو بيد الحلف الأطلنطي وخصوصًا بيد الأمر الولايات المتحدة وبريطانيا.

3- لكن الخلاف معهم هو أنهم يريدون تحرير الإقليم من سيطرة الغرب والحلف الأطلسي وتسليمه للاتحاد السوفيتي والصين الشعبية الراعيان الرئيسان للجبهة المشار إليها.

4- والخلاف الأخطر معهم هو موقف (الجبهة) الرسمي ومن خلال نشرياتها من الإسلام وأهله وتراثه وشرعه وفقهه ورموزه إذ ترفض (الجبهة) الإسلام كدليل نظري لشعوبنا وكمرجعية لمجتمعنا وكمصير لوجودنا.

● استقر الأمر لهذه المجموعات في عدن إلى درجة أن (مشروعهم) بدأ يخرج من جغرافية عدن ويمتد إلى الأراضي العُمانية وتحديدا في ظفار الولاية الجنوبية في سلطنة عمان كنت أتابع إذاعة عدن وبرامجها السياسية المؤدلجة وبياناتها ووعيدها بأن (الثورة) (ثورة التحرير) تتجه شمالا مرورا بمسقط والإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر وصولًا إلى الكويت هذا الخطاب المتوتر ذكرني بالطالبين (ب. ر) و(م. ق) اللذين يعتبرانني رمزًا محليا (للرجعية) دون أن يعطيان فرصة لنفسيهما ليعرفان أننا نتفق في الكثير ونختلف أيضًا في الكثير وأن الأمر يحتاج إلى هدوء وحوار ومداولة إذاعة عدن لا تعطيك فرصة سوى اللهاث وراءها، إنها تلغي إلغاء المستمع وتطالبه بالولاء الفوري لها وإلا.. قلت لنفسي ذات مساء في (بنيدر) (لابد من مقاومة هؤلاء، ليس هذا فحسب بل لابد من هزيمتهم في الصباح اتصلت بسفارة عمان والتقيت بالسفير وأبلغته برغبتي بإعداد رسالة أو كراسة حول الاضطراب في ظفار سيكون محتواها السياسي مضادًا (للجبهة) فورًا رحب بي ووعد بإجراء الاتصالات لتسهيل رحلتي الميدانية بظفار.

● كنت في بيروت عندما تلقيت الأخبار من السفير العماني في الكويت بأن كل الترتيبات قد انتهت للسفر إلى السلطنة لإجراء البحث الميداني في ظفار والمباشرة في الكتابة أخبرت الأصدقاء في الجامعة الأمريكية في بيروت عن مشروع البحث الميداني Field work في ظفار فأبدى مدرس

الأنثروبولوجي د. جيري أوبرماير Jerry Obermeyer رغبته بمرافقتي فرحبت به، يعود اهتمام د. أوبرماير في الرحلة إلى ظفار إلى عنايته الخاصة بدراسة (القبيلة) في المنطقة العربية من ناحية نظام القيادة والسيطرة فيها. كانت أطروحة الدكتوراه التي قدمها د. أوبرماير الجامعة إنديانا تدور حول قبيلة (الشيبات) في صحراء مصر الغربية. كان مهتمًا للتعرف على تكوينات قبائل البطاحرة والحراسيس وبني كثير والمعاشنة وغيرهم في ظفار.

ووصلنا - شتاء 1975- السلطنة وكان (فندق مطرح) هو المحطة الأولى.

هلال فضل الله وقيرون حيرتني 21/01/ 1975:

● وصلنا صلالة عاصمة الجنوب وعاصمة ظفار وكان في استقبالنا والي ظفار الشيخ بريك الغافري رحمه الله الذي غمرنا بلطفه وكرمه وأخبرني أنه بمناسبة زيارتي لظفار فقد دعا وجهاء ومسئولي الولاية الجنوبية للتعرف عليهم وفرصة لهم للتعرف عليك (يعني acquaintance gathering) كما قال. فأجبته: رحلتي هذه كلها الهدف منها التعرف، وبعدها سأتمكن من الإحاطة - إن شاء الله- بأطراف الموضوع لأتمكن من كتابة شيء حوله. هز رأسه موافقًا مع تلك الابتسامة المشوبة بصدق ودفء لم ألحظه في وجه مسؤول سياسي في حياتي.

حضر اللقاء في فندق (ظفار) كوكبة من المسؤولين السياسيين والعسكريين والأمنيين ووجهاء صلالة وكان راعي الحفل الشيخ بريك رحمه الله ينتقل من طاولة إلى أخرى يرحب بالجميع. همست في نهاية الحفل في أذن

الشيخ بأنني أريد أن أستأنف غدًا صباحًا مهمتي الميدانية بزيارة أسخن نقطة في ظفار ومقابلة رجالها المقاومين للمد الشيوعي الوافد من عدن. همس في أذني إذن ستذهب غدًا صباحًا إلى (قيرون حيريتي) لكن على مسؤوليتك لأن الرصاص فجأة يندلع هناك. هل تخاف من الرصاص ومدافع الهاون؟ سألني قلت: نعم أخاف من الرصاص ومدافع الهاون لكن أخاف من الشيوعية أكثر ومن الأفضل تحمل مواجهة أهون الشرين. وضع يده على كتفي وقال: نلتقي بعد عودتك من (قيرون حيريتي) سالمًا in one piece.

● الرحلة باللاندروفر من صلالة إلى قيرون حيريتي في ظفار الوسطى من أمتع الرحلات حيث إن الوسطى هي من أجمل مناطق ظفار (قد لا يرضي هذا الكلام إخواني في ظفار الشرقية والغربية) وفي الطريق يبدو الجبل وقد اكتسى خضرة وجمالاً وتشابكًا من أشجار الصغوت والخفوت والغهودت (تشكل هذه الأشجار الكثيفة سواتر مثالية للقيام بحرب عصابات ولذلك كانت (الجبهة) تستفيد منها كثيرًا).

● استقبلنا في قيرون حيرتي هلال فضل الله وإخوانه وهم يحملون أسلحتهم ويلبسون ملابسهم المرقطة وأحدهم كان يحمل جهازًا للاسلكي (في ظفار يسمونه «الناشيونال»). ورحب هلال فضل الله وإخوانه ترحيبًا حارًا بي وبدأ هلال يشرح أهمية قيرون حيريتي العسكرية وشيء موجز عن تاريخها كموقع شهد العديد من العمليات الساخنة. وبعد ذلك طلب هلال مني أن نتوجه لمركز القيادة والإدارة حيث تناولنا حليب الإبل ولحمه المسلوق وأخذ هلال يوجه الحديث لي بنبرة جادة ومباشرة:

[اسمع يا عبد الله. معظمنا تربطنا روابط قوية بالكويت ولنا فيها ذكريات بعضها حلو وبعضها مُرّ. كنت في الخفجى أعمل في شركة النفط

هناك وكنا جميعًا (عمالًا من عُمان) مستاءين من الحالة في السلطنة أيام سعيد بن تيمور في أوائل الستينيات. وكان د. أحمد الخطيب وجماعته نشطين بيننا. وكان يتردد علينا، أحيانًا يلقانا في الخفجي وأحيانًا نلقاه في عيادته. وكان عندما يتحدث نصمت لأن الجو الذي يسود الجلسة جو لا يساعد إلا على الصمت والاستماع للدكتور. كان يقول لنا إن مهمتنا نحن الظفاريون هو إشعال حريق العنف الثوري في جنوب الجزيرة وأنه وجماعته كفلاء بشمالها وأنه يومًا ما سيعم العنف الثوري المنطقة كلها وعندها نكون قد وصلنا. ولا أكتمك يا عبد الله أن حديثه كان مؤثرًا إذا وضعنا في الاعتبار سوء الحالة في السلطنة أيام سعيد بن تيمور. وبعد سلسلة من اللقاءات تم تجنيدنا للقيام بحركة مسلحة في ظفار في أوائل الستينيات وعندما حان موعد السفر إلى ظفار كلفت بأن أحمل رسائل لأشخاص في البحرين وقطر ودبي وقد فعلت ذلك دون أن أعلم ما في الرسائل ودون أن أعرف شيئًا عن هؤلاء الأشخاص. وبعدها وصلت ظفار وحملت السلاح وحاربت في ظفار في صفوف الجبهة من أوائل الستينيات حتى صيف 1970 عندما حدث التغيير في مسقط.

● ونزل من الجبل بعد ذلك شباب كثير من (الجبهة) إلى صلالة وبعد أن تأكدت الحكومة من حسن نواياهم سلمتهم مسؤولياتهم ووظائفهم في المدارس الجديدة والطرق والمستوصفات ومراكز تزويد المياه وكل المؤسسات الجديدة التي بدأت تنتشر في ظفار بعد التغير الذي حدث في مسقط في 1970 /7/ 23 وجاء بالسلطان قابوس للسلطة، وبدأنا نحن نجني ثمرات التغيير فأبناؤنا يذهبون للمدارس في مراكز الجبل وإبلنا ومواشينا يصلها الماء بعد أن كنا نمشي عدة كيلو مترات حتى نصل الماء وبدأت المؤن تصلنا والأغذية رغم وفرة الزراعة وصلاحية الأرض للزراعة في الجبل ونستلم

مخصصات كساء تقينا الحر والقر وبدأت مطالبنا التي كنا نحاول تحقيقها من خلال السلاح تتحقق وهذا شيء جميل ومكسب كبير. هذه المكاسب سندافع عنها ولن نسمح لأي كان أن يتعدى عليها. ولكن هناك نفرًا قليلًا تؤويه عدن (يقصد الجبهة) لا يريد لنا الاستقرار ومازال يرفع شعارات (العنف الثوري والمجتمع اللاطبقي وحكم البروليتاريا... إلخ) ونحن قوم بسطاء يا عبد الله لا نفهم غير ما نُحس ونلمس وما نحسه ونلمسه في ظفار كلّه خير في خير واليوم ظفار غير الأمس. نحن هنا نبني وطن ومؤسسات غير آبهين ببيانات (الجبهة) التي تذيعها من مكلا وأرجوك أن تبلغ د. أحمد الخطيب أن هلال فضل الله ترك الجبهة الشيوعية بعد أن تكشفت له الأمور وخطورتها. وأن هلال فضل الله اليوم يحمل سلاحه لكي يصد جماعة العُنف الثوري بعنفه وطريقته الخاصة].

وانتهى حديث هلال ووعدته أن أبلغ د. أحمد الخطيب اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد. ويبدو أن هلال ليس الوحيد غير المتفق مع د. أحمد الخطيب بل حتى (الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج) تقول التالي: (أما في الكويت فقد شاهدت الحركة الوطنية وضعًا منظمًا استطاع الحصول على بعض المطالب التي طرحتها، وأوجدت السلطة نظام المجلس النيابي واستطاعت عن طريقة استهلاك كل الحركة الوطنية نتيجة للُبنية الطبقية لهذه الحركة وقيادتها المتذبذبة وشكلت حركة 1969 (قضية المتفجرات في الكويت) موقفًا طبقيًا حدد موقفها من كافة الأوضاع القائمة في الكويت وكانت تمردًا ثوريًا من عناصر فقيرة من العمال والطلبة ومع أن الظاهرة البارزة لهذه الحركة كونها غير مرتبطة ببرنامج طبقي استراتيجي، إلا أنها كانت تعبيرًا حيًا عن التناقض الطبقي الذي تحاول السلطة تغطيته وراء برنامجها البرلماني

وأكد إفلاس برنامج القوى الوطنية الكلاسيكية وعجزها) راجع منشور (الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج) الموسوم (وثائق النضال الوطني) 1974، دار الطليعة، بيروت، ص-17 18.

رخيوت 1975/09/15

● زرت في هذا اليوم رخيوت التي كانت العاصمة الإدارية (للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج) وتحركنا من صلالة (المطار العسكري) بطائرة Sky van سكاي فان (وهي طائرة عسكرية خاصة تنقل المؤن) الساعة التاسعة والنصف صباحًا ولم تستغرق الرحلة أكثر من عشرين دقيقة عندما وصلنا رخيوت كان في استقبالنا الملازم حميد محمد المسئول عن قوة عمانية ترابط هناك؛ وسالم عمر عبد الله الحضري مسؤول اللاسلكي والشيخ محاد سهيل مبارك والشيخ محمد المحروس وهما مواطنان من رخيوت. القرية تشمل مسجدًا و42 بيتًا معظمها مهجور هربًا من القتال الدائر هناك بين مسلحي (الجبهة) وقوات الحكومة.

كانت رخيوت العاصمة الإدارية (للجبهة) الآن استعيدت. الشيخ محمد المحروس وهو رجل يشارف على الستين عامًا ولكنه يتمتع بنشاط وقوة حيث رافقنا مشيًا في أنحاء رخيوت ما يقارب من الساعتين، يقول: [1] [إن علاقة (الجبهة) بسكان القرية كانت سيئة للغاية حيث لم يكونوا يحترمون الكبير ولا يعطفون على الصغير وقد أعدموا 177 شخصًا من رخيوت عارضوا

(1) بالطبع الشيخ كان يتحدث بالعامية ولذلك فالكلمات ما بين القوسين ليست النص الحرفي لما قال بل لمعنى ما قال.

(الجبهة) في طريقة إدارة القرية وهذا بالطبع عدد كبير جدًا بالنسبة للقرية لأنه يبلغ ثلث سكانها تقريبًا معنى ذلك أن كل بيت في رخيوت كانت له إصابات وخسائر في علاقته بالجبهة] انتهى كلام الشيخ محمد محروس. ومررنا على بعض المنازل المهجورة للأشخاص من الذين أعدمتهم (الجبهة) وهو كمثال: الشيخ محمد أحمد السعدوني، الشيخ علي سعيد مبارك حردان، والشيخ محمد سلومة عامر السعدوني، أحمد سعيد قطميم العامري، عبد الله حنش اليافعي. والشيخ مبارك مستهيل. وكان منظرًا حزينًا جدًا.

وبعدما ختمت زيارتي لرخيوت بالتوجه لمسجدها وقد أخبرني الشيخ محمد المحروس أن (الجبهة) كانت تسيطر على القرية وكانت تمنع رفع الأذان فيها انسجامًا مع سياستها الماركسية الملحدة المعادية للدين والله وكان الناس لذلك وخوفًا من (الجبهة) يصلون في بيوتهم حتى لا تتخذ (الجبهة) ضدهم الإجراءات. بعد الذي سمعته من الشيخ محمد المحروس غادرت رخيوت تغلف قلبي كآبة رمادية.

الفييت كونج بضيافة الجبهة 1973:

● ذهبت (الجبهة) بعيدًا في الإعلان عن شيوعيتها وماركسيتها نظرًا لسيطرة اليسار المغامر Adventurist عليها وبصورة مبكرة جدًا قبل أن تحقق أي نصر على الأرض، فما بالك إذا انتصرت؟ ماذا ستفعل بالبشر والحجر في الخليج؟ في (الغيضة) افتتحت (الجبهة) مدرسة (لينين) للتكوين الفكري والتأهيل السياسي وهي بالنسبة للجبهة أكاديمية يتم فيها تلقين الطلبة والطالبات فلسفة الإلحاد والتفسير المادي للتاريخ (الديالكتيك) وصراع الطبقات الاجتماعية والعُنف الثوري وغير ذلك من المقررات الفكرية

للماركسية اللينينية ويتم دعوة الاختصاصيين الروس والموجهين الفكريين لغرس هذه المفاهيم في المراهقين خاصة.

● دعت (الجبهة) وفدًا من الفييت كونج Vietcong المنظمة الشيوعية الفيتنامية لزيارة ظفار 1973 ودارت بين الطرفين محادثات بحيث تتلقى (الجبهة) المساعدات المادية والأدبية (تدريب سياسي وتوجيه فكري في مدرسة لينين في الغيضة) وكان وفد الفييت كونج برئاسة فودنج جيانج وعضوية دوكسوان تام ونجوين دنه أما المجموعة التي مثلت (الجبهة) فمكونة من: عامر علي عضو اللجنة المركزية، طلال سعد عضو القيادة المحلية، علي الحاج عضو القيادة المحلية، حسين موسى من قسم الإعلام بمكتب الجبهة في عدن (انظر «وثائق النضال الوطني، المشار إليه سابقًا، ص104)[1].

(1) طبعا هذه وثيقة نشرتها دار الطليعة في بيروت وهي الدار المعتمدة من الجبهة. وأيضًا نعلم أن بعض الأسماء المذكورة هي أسماء مستعارة ونعلم الأسماء الحقيقية.

كونغ فو:

● في السبعينيات كانت جريدة (السياسة) تستقطب القارئ الشاب المتمرد البرم وتتميز عن باقي الجرائد أنها لا تمثل تحالفًا عائليًا أزرق تتداول عائلات معينة رئاسة التحرير فيها. لم تكن جريدة السياسة تمثل كتلة (بلوك) في السوق بل كانت وسيلة تعبير عن رأي عام يحتاج إلى تنظيم. لذلك اخترتها لكي أطبع كراستي عن ظفار تحت عنوان [تثمين الصراع في ظفار] الذي لقى نجاحًا لا بأس به خاصة في الأوساط المتابعة لشؤون الخليج والجزيرة.

رئيس تحرير الجريدة الأخ أحمد الجار الله كان متفرغًا فعلاً للمهمة الصحفية يحيط به فريق من الصحفيين المهنيين مثل مصطفى أبو لبدة وقاسم أفيوني وكانت تدور وقتها حوارات داخل الدار - دار السياسة- أظن أنها مهمة خاصة أنها استقطبت عقولًا وأقلامًا من شتى الطيف السياسي. يومها كان تليفزيون الكويت يبث مسلسل (كونغ فو) وهو مسلسل جاذب للغاية صبي يودعه أهله في دير أظن في التبيت وينخرط في برنامج صارم للتربية الروحية والجسدية ويمارس في هذا الدير رياضة الكونغ فو التي تروم إحداث توازن (حالة النرفانا nervana) بين العقل والجسد والروح. فالطعام مقنن والنوم مقنن والنشاط الجسدي مقنن والهدف: حالة النرفانا. كنت عندما أفرغ من مشاهدة هذا المسلسل أحاول تنزيل مقولة النرفانا على المجتمع الكويتي فتصيبني خيبة فلا الطعام مُقنن ولا النوم مقنن ولا النشاط الجسدي مقنن. فنحن نأكل حتى التخمة وننام كأننا في كوما Coma ونتكاسل عن النشاط الجسدي فيركبنا اللحم ومعه الأمراض. هذه الفوضى أصابتنا بالخمول الفكري وأكثر من ذلك بالتنمل وعدم الإحساس وشيء من البلادة والبطالة والكسل تحول دون أن نفهم ما نعاني منه من فوضى معيشة

وفوضى مفاهيم وفوضى في جسدنا شبه الميت من مخدر الرفاهية واليسر. نحن بحاجة إلى نفض وأشعة شمس وهواء نظيف. نفض لحالتنا وتجاوز وفدائية بما يحمل ذلك من استفزاز وتحريش مع قوى الوضع الراهن والطحالب العالقة به. فكانت مجموعة من «المقالات» الاستفزازية نشرتها في جريدة «السياسة» الكويتية أظن أنها كانت -وقتها شبيهة بالصدمة الكهربائية والحلو فيها أنها كانت ممهورة بتوقيع: كونغ فو.

الكويت: الرأي الآخر:

● فوجئت الكويت في رمضان المبارك 1976 بمرسوم أميري حل مجلس الأمة حلاً غير دستوري وتجميد العمل بالدستور أي كأن السلطة تقول للشعب: فضوها سيرة لا نريد حياة نيابية ولا انتخابات ولا دستور يضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم وسنعود إلى سابق عهدنا: سلطة مُطلقة غير مقيدة. كانت فعلاً مفاجأة أصابت البلاد بصدمة نفسية وشاع جو من الإحباط واليأس والتشاؤم. صحيح أن (التجربة) في الكويت فيها كثير من الثغرات. لكن صحيحًا أيضًا أن السلطة هي المضخة الرئيسة لهذه الثغرات. ثم إن معالجة هذه الثغرات لا تحل عن طريق هذا (الخرق) العظيم الذي تعد هذه (الثغرات إزاءه بـ «لعب عيال») كما يقول إخواننا في مصر.

● تداعى أبناء الكويت من كل حدب وصوب للتدارس والتشاور في جو عارم رافض للمرسوم الأميري القاضي بحل المجلس حلاً غير دستوري أي لا يتبعه ما يشير إلى نية السطلة السماح بانتخابات قادمة. وأذكر التداولات النشطة التي عمت البلاد بين ناس الكويت وأهلها ومنها الاجتماع المهم الذي عقد في منزل ابن العم أحمد النفيسي في ضاحية عبد الله السالم والذي

ضم كل أطياف المجتمع الكويتي وتمخض عن بيان رفضنا فيه المرسوم الأميري وذاك وطالبنا بعودة الحياة النيابية وتفعيل مواد الدستور لضبط العلاقة بين السلطة والشعب قبل أن تنفلت الأمور.

● شخصيًا لم يُفاجئني هذا المرسوم ولم يفاجئني حتى تزوير الانتخابات يناير 1967 وقد كنا وقتها طلبة في الجامعة الأمريكية ببيروت (AuB) وذلك للأسباب التالية:

1- أولاً كانت بريطانيا في الخمسينيات والستينيات هي القوة المهيمنة في شريط النفط ونستطيع الجزم بأن شريط النفط كان منطقة نفوذ بريطاني وأن لبريطانيا مصالح حيوية في هذا الإقليم.

2- ثانيًا في نهاية الخمسينيات 1958 - 1959 كان المد الناصري في أوجه وكان هذا المد يُهدد النفوذ البريطاني في شريط النفط وُيغذّي التحرك ضدّه خاصة في جنوب الجزيرة العربية.

3- ثالثًا خبرة الإنجليز بتاريخ الإقليم (الخليج والجزيرة) دفعتهم للتفكير البراجماتي بضرورة سحب البساط من تحت المد الناصري بالاستجابة الصورية لمطالباته اللحوحة بالديمقراطية والحياة السياسية المفتحة بغض النظر عما يدور من قمعها في مصر قاعدة الناصرية).

4- على ضوء ذلك قررت بريطانيا الضغط على (العائلات الحاكمة) أنه في مقابل (الإعلان) عن الاستقلال (استقلال المشيخات) في شريط النفط لابد أن تعلن أيضًا عن النية لاستئناف حياة برلمانية ووضع دستور بناء على انتخابات عامة. ذاك الإجراء من الممكن أن يسحب البساط من تحت (الناصرية) ونفوذها الشعبي في شريط النفط

ويدمجها في الحراك الاجتماعي القبلي الذي يخدم في نهاية المطاف الوضع الراهن وترسيخه.

5- على ضوء ذلك بدأت تتقاطر على الكويت - نقطة المركز في هذه الرؤية - شخصيات بريطانية (رسمية) من طرف الخارجية البريطانية للجلوس مع عبد الله السالم رحمه الله (أمير الكويت آنذاك) تؤكد له ضرورة الانصياع للرؤية البريطانية. وفعلاً وصل إلى الكويت خلال 1960 - 1961 السرجون ريشموند Sir John Richmond والسر وليام لوس Sir William Luce والسر جورج ميدلتون Sir George Middleton والسر إدوارد هيث Sir Edward Heath. كل هؤلاء انفردوا بعبد الله السالم رحمه الله وشرحوا له الرؤية البريطانية وأكدوا عليه ضرورة الانصياع لها وإلا ستواجه الكويت أخطارًا داخلية وتهديدات خارجية. طبعًا لم يكن أمام عبد الله السالم رحمه الله إلا الانصياع لبريطانيا. وصل الخبر لعائلة الصباح -وهو خبر تم التكتم عليه- فشكلت العائلة وفدًا برئاسة عبد الله الجابر الصباح لمقابلة عبد الله السالم وتبليغه رفض العائلة للرؤية البريطانية، فصرفهم قائلاً لهم: الإنجليز يعرفون أكثر.

● هذه هي خلفية نشوء الحياة البرلمانية سنة 1963. طبعًا نحن نعلم أن المطالبات بحياة برلمانية بدأت منذ 1921 ونحن نعلم عن تجربة الكويت 1936 - 1936 التي لم تستمر إلا ستة أشهر إلا أن تجربة 1963 جاءت نتيجة لرؤية بريطانية محضة وإملاء بريطاني يأت ضمن سياق استراتيجي شمل شريط النفط وليس بالضبط (بوتيرة واحدة) - أي حياة برلمانية كاملة- بل المهم فكفكة السلطة المطلقة التي كانت تتمتع بها العائلات الحاكمة. في

الكويت أخذت الصورة الأبرز ذلك لأن النفوذ الناصري الشعبي كان فاقعًا جدًا فكان لابد من سحب البساط من تحته.

فإذن لم تقم الحياة البرلمانية في الكويت 1963 بناء على مطالبات شعبية وقبول لهذه المطالبات من طرف السلطة. بل قامت الحياة البرلمانية في الكويت 1963 استجابة لرؤية بريطانية شرحنا خلفيتها في السطور السابقة ولم يكن أمام عبد الله السالم رحمه الله إلا الانصياع للرغبة البريطانية التي توافرت نتيجة لحسبة إستراتيجية بريطانية محضة في تلك المرحلة أخبرني همفري تريفليان Humphrey Trevelyan في دارته في لندن في حي بلجرافيا Belgravia1974 أن عبد الكريم قاسم صنيع لبريطانيا «He is our man in Baghdad .....» وظفته بريطانيا في مهمتين: مزاحمة عبد الناصر وتهديد الكويتيين الذين استسلموا للنفوذ الناصري. ومطالبة عبد الكريم قاسم 1961 بالكويت غير بعيدة عن الضغط البريطاني على الكويت ودفعها دفعًا للاستنجاد ببريطانيا.

لعلم القارئ فإن همفري تريفليان كان سفيرًا لبريطانيا في أسخن البؤر وفي أحرج الأوقات: كان سفيرًا لبريطانيا في القاهرة 1956 (حرب السويس) وكان سفيرًا لبريطانيا في بغداد 1958 (عام الانقلاب) وحاكمًا عسكريًا في عدن 1967 (عام اندلاع الثورة في عدن) هل هذه صدفة؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ لقد أطلعني تريفليان في دارته على ألبوم كامل من الصور الفوتوغرافية وهو يلعب التنس مع عبد الكريم قاسم في حديقة السفارة البريطانية في بغداد وهو يسبح في دجلة مع عبد الكريم قاسم وهو يأكل (المسقوف) مع عبد الكريم قاسم الذي فرغ توًا من مؤتمره الصحفي الذي يهدد به الكويت ويطالب بها. كانت بريطانيا تلعب فينا (طوبة).

● عودًا إلى الكويت وحل مجلس الأمة 1976 حلاً غير دستوري انتشرت في البلاد شائعات نظرًا لغموض الموقف الرسمي وعدم إفصاح السلطة عما تريد بحل المجلس ينبغي أن يتبعه شيء ما، هذا ما لم يتضح. كان لابد من أن يتصرف الناس خصوصًا الناشطين منهم فالبلد والأرض للجميع وليس ملكًا لعائلة معينة أو مجموعة عائلات حتى. فبدأت فكرة كتاب (الكويت: الرأي الآخر) تختمر في ذهني. الغرض من الكتاب الاحتجاج على حل المجلس وشرح ملابسات هذا الاحتجاج (التاريخية والسياسية) بغية تحريك الجو في البلاد لحركة احتجاج أوسع لكن للأسف لم يتحقق ذلك بالرغم من تسابق الكويتيين في اقتناء الكتاب.

وخلاصة الكتاب من الممكن اختصارها في ثلاثة محاور سياسي واقتصادي واجتماعي. أما السياسي فهو عدم قناعة السلطة بالمؤسسة الدستورية تارة تحل المجلس حلاً غير دستوري كما حصل 1976 - 1986 وتارة لا تتورع عن تزوير الانتخابات تزويرًا مفضوحًا وأمام العيون والشهود كما حصل عام 1967 وتارة بالتدخل المباشر في بعض الدوائر الانتخابية لفرز مجلس أمة موالي للسلطة. وأما الاقتصادي فهو اعتماد الكويت كليًا على سلعة النفط الناضبة وغياب القاعدة الإنتاجية وتنويع مصادر الدخل الوطني مما يعرض الأمن القومي في المستقبل لمخاطر جمة لو تعرض النفط لأي تقلب سلبي في أسعاره. ولا يُستشف من متابعة الحالة الكويتية أن النظام الكويتي جاد في قيام قاعدة إنتاجية أو تنويع مصادر الدخل القومي مما يؤكد المخاوف حول مستقبل الكويت الاقتصادي. وأما الاجتماعي فهو يتعلق بالوعاء الديمغرافي (السكاني) إذ يشكل الكويتيون نسبة 28 % من إجمالي السكان أي أقلية كبيرة (Big Minority) ومعظم الخدمات الضرورية والعامة يشرف عليها

ويديرها الوافدون (كهرباء- ماء- طُرق- صيانة) ممّا يُعطى الوافدون هامش قوي للسيطرة على البلاد لو شاؤوا ونظموا صفوفهم. هذا الثالوث الخطير السياسي والاقتصادي والاجتماعي يُشكل تحديًا كبيرًا للكويتيين خصوصًا وأن نسبتهم من إجمالي السكّان تتناقص سنة بعد سنة.

سُلْطة مُتوتِّرة نَيّئة وغير رشيدة:

● كنت أتوقع بعد نشر الكتاب في لندن 1978أن تستأجر السُّلْطة طاقمًا من الكتاب الأجانب للرد على الكتاب وتفنيد مقولته في المحاور الثلاث (السياسي والاقتصادي والاجتماعي) بحيث يتوفر للقراء نقيضًا لكتابي. وسرحت في الخيال باحثًا عن الكتاب العرب الكويتيين وغير العرب الذين لديهم قابلية للاستئجار من طرف السلطة في الكويت وما أكثرهم وتخيلت نفسي أردّ عليهم ويردون علي، لا بل يفحمونني فأخسر أمامهم. لم يحدث شيء من هذا. الذي حدث لم يكن في الحسبان ودليل على أن السلطة في الكويت متوترة ونيئة ولا تقرأ التطورات والتجاذبات بشكل صحيح وتتعامل مع السياسة وكأنها حفلة شاي في بلاطها. اجتمع مجلس الوزراء (ذات أربعاء والعادة يجتمع يوم الأحد) لبحث بند واحد (الكويت والرأي الآخر) القرار: منع الكتاب من دخول البلاد وفصل مؤلفه وصاحبه من العمل في جامعة الكويت (كنت وقتها رئيسًا لقسم العلوم السياسية) وسحب جواز سفره ومنعه من السفر وتجميد حقوقه المدنية لمدة خمس سنوات. القرار إذن سياسي والحمد لله على ذلك وصدر من مجلس الوزراء ولم يصدر من الجامعة والحمد لله على ذلك. لم أكن أتوقع هذا الشطط من السلطة في الكويت وتأكد لي أن (الجماعة مو تكانه). فأنا لم أحمل سلاحًا ولم أحرض على

العنف ولم أرتكب جُرمًا يهدّد الأمن الوطني ولم أتعامل مع عدو للأمة ولم أتآمر (في الخفاء) ضد النظام فلماذا هذه القسوة وهذا التوتر وهذا التغول في استعمال السلطة والإفراط فيها؟ أدركت يومها لماذا يثور الثائر ولماذا تكون الثورات ولماذا تسيل الدماء؟ ولماذا قال عمر t: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا. وجاءني من جاءني في مسجد (السهول) في ضاحية عبد الله السالم: وقال لي: اذهب إلى الشيخ (.......) واعتذر وسنسوي الأمر. فقلت له: لن أذهب إليه وهو الذي عليه أن يعتذر ولا تنس قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38] أبْلغْهُ ذلك. تقاطرت علي عروض العمل من الجامعات خارج الكويت لكن المشكلة كانت في سحبهم لجواز السفر ومنعي من السفر. ذات يوم في مسجد (الحقان) بالفنطاس قال لي: كيف حالك؟ قلت: في نعمه وستر. قال: ترافقنا للعمرة؟ قلت: يا ليت عندي جواز سفر. قال: لن تحتاج جواز سفر فنحن منذ سنوات نسلك الطريق (الشرعي). قلت لنفسي: يبدو أن الأخ من منظمة (بادر ما ينهوف) فهم لا يعترفون بوثائق السفر الألمانية.

أعجبني هذا (الباڤاري) من سكان الفنطاس فقلت له: على بركة الله ذات عصرية في الأسبوع الأول من رمضان 1979 مر علي (الجمس Gmc) الأسود وانطلقنا باتجاه (السالمي) لكن off- road على طريق ترابي. فجأة ظهر في الأفق رتل من الجمسات (ثلاثة). وعندما وصلناهم تبادلنا الابتسامات ودخلنا البر باتجاه (الدبدبة) وكانت الساعة تقارب الغروب ونحن ولله الحمد صيام. فأخذ كل واحد منا يتحسس التمرات التي معه لأن الأذان أوشك. وفجأة ظهر أمامنا ثلاثة جيبات عسكرية قد فتحت كشافات باتجاهنا يصدر منها صوت ربما من خلال ميكرفون: وقِّفْ يا ولد. عندما اقتربت الجيبات ترجل

منها جنود يحملون السلاح ويشهرونه باتجاهنا. توقفنا ونزلنا من السيارات، فتشونا بشكل فردي وقادونا إلى مخفر (الرقعي) السعودي.

الدمام:

وترجلنا من الجمسات ورُفع أذان المغرب. فقالوا لنا سنصلي ونتناول الإفطار. بعد ذلك طلبوا أن نصعد إلى السيارات بمرافقة جنود مسلحين وانطلقوا بنا من الرقعي إلى حفر الباطن ومنه جنوبًا إلى القيصومة مرورًا بالصداوي والشعيرة والنعيرية وأبو حدرية وصولاً إلى (سجن المباحث) في الدمام وهو مشوار طويل أخذ منا حسبما أذكر ليس أقل من أربع ساعات. ترجلنا من السيارات وقادونا إلى قبو البناء ووزعونا على الزنازين. الزنزانة تتسع لثمانية من المساجين. ثمة مراتب ملقاة على الأرض بمثابة فُرُش لنا. الطقس كان في الدمام حارًا ولزجًا وفي قبو هذا البناء شعرنا أكثر بالحرارة واللزوجة أقام الصلاة (س. ش) وأمّنا (ع. د) وكانت تلاوته كأنها - أي الآيات- تنزلت الساعة. كنا مرهقين فاتفقنا أن ننام دون أن ننغمس في أحاديث لا طائل منها. نمنا تلك الليلة كالأطفال من التعب وأيقظنا (س.ش) لصلاة الفجر وبعد الصلاة عدنا إلى النوم لأن المصاحف مُنعت عنا في الأيام الأولى. الأمر الذي لا أنساه هو أننا استيقظنا قبيل صلاة الظهر وقد كنا صيامًا طبعًا على صوت باب الزنزانة وهو يُفتح ودخل علينا شاب في العشرينات وقال: أنا (حُجَيْر) سأعطيكم كل صباح المصروف اليومي وبعد صلاة العصر سأعود إليكم أستوضح منكم طلبكم للفطور. كان حُجير يعطي كل واحد منا عشرة ريال وبعد صلاة العصر يبدي كل واحد منا رغبته في وجبة معينة (لحم- سمك- دجاج- خضار) ويدفع لحجير المبلغ ويذهب حجير إلى

السوق ويحضر لنا وجباتنا وقد وضعت في أكياس بلاستيكية شفافة. اتفقنا فيما بعد أن نشترك في صينية واحدة ونفرغ الأكياس فيها ويختلط اللحم بالسمك بالدجاج بالخضار شبيهة بالأكلة الإسبانية (پايلا) في أول يوم - بعد الإفطار- تلفت يمينًا ويسارًا ها هو (س. ش) يتبادل الحديث مع (ع. د) وهذا (ب. خ) يهددني بالمقاطعة إذا لم أطلق لحيتي وهذا مشعل يرتب الفرش ويبتسم قلت لنفسي: يا لها من صحبة صالحة. هدوء وسمت رجال وكأن شيئًا لم يحدث حتى أن الواحد يستحي أن يشتكي أو يُبدي قلقه أمامهم. أمران شغلاني: مصاحفنا وكتبنا في السيارات لم يسمحوا لنا بها ودورات المياه قذرة للغاية وذات رائحة لا تحتمل. فوتح (الرائد عبد الله) بالموضوع فقال (أظن في اليوم الثالث): نسمح لكم بالمصاحف والكتب أما فيما يتعلق بدورات المياه فليس عندنا من يقوم بتنظيفها فطلبنا منهم أن يحضروا لنا المكانس الأسفنجية والصابون والديتول وغيرها ونحن نقوم بالتنظيف يوميًا وكان خير اتفاق وبدأت الأمور تترتب. المصاحف في متناول اليد وهي فرصة عظيمة للحفظ والتدبر والمدارسة و(حاشية السِّندي) كان مشعل يقرأ منها بصوت عال و(ع. د) يشرح كانت جلسات ممتعة وغنية بالفقه والروح والتزكية والذكر. وكان أحد الضباط يراقبنا بين الفينة .. والأخرى وكلما مر واسترق النظر إلينا قال عبد اللطيف: {إنّه يراكم هو وقبيلُهُ من حيث لا تَّرونهم} [الأعراف: 27]. فنلتفت جميعنا باتجاه باب الزنزانة فيخرج الضابط ويغادر المكان بادي الحرج. ولأننا لا نحمل أية أوراق ثبوتية (جوازات أو رخص قيادة أو حتى إيصالات بأسمائنا الصريحة أو غير ذلك) كان من الصعب على إدارة السجن تحديد (من نحن؟ وماذا نريد من دخولنا أراضي بلاد الحرمين بهذه الطريقة؟..) وهذا مما عقد الأمر. أضف إلى ذلك كانت

السلطات الأمنية السعودية وقتها تبحث عن جهيمان العتيبي (له عند الله ما يستحق) وتنامى إلى مسامعها أنه كان يتردد على الكويت لطباعة بعض كراساته ولذلك ركزت على مراقبة الحدود مع الكويت علها تظفر به ونحن وقعنا في هذا (السباغيتي) وفي اليوم الرابع - كما أذكر- بدأت التحقيقات فردًا فردا. أول سؤال في التحقيق: من أنت؟ ما اسمك؟ ما عملك؟ عنوانك؟ أبوك؟ أمك؟ إخوانك؟.... إلخ.

استشرت (بادر ماينهوف) فحذرني من الإفصاح عن اسمي الحقيقي خصوصًا وأنا معروف بانتقادي للسياسات السعودية وقتذاك (فقد يقسون عليك) فكان لابد من تقمص شخصية أخرى: اسمي عبد اللطيف الفهد (كندري) عملي تاجر أواني منزلية أستوردها من رومانيا- والداي رحمهما الله- لي شقيق واحد هاجر إلى استراليا وانقطعت أخباره عني بعد زواجه من نصرانية هناك. دخلت الأراضي السعودية بغية العمرة ما عندي جواز أنا من فئة البدون. كان اسم المحقق حسبما أذكر (عباس الكشميري) هل هو اسمه الحقيقي أم مستعار؟ الله أعلم. ملامحه جنوبية قحة ولا ينتمي للمنطقة الشرقية قطعًا. أول سؤال: هل تعرفه؟ أعرف من؟ جهيمان. لا لا أعرفه. هل سمعت عنه؟ نعم سمعت عنه. أين؟ في الكويت. أين بالضبط في الكويت؟ فيما أذكر في المسجد يذكرون هذا الاسم كثيرًا. هل لديك أقوال أخرى؟ لا. إذن انصرف كان المحقق يقوم بالتحقيق بشكل روتيني حتى أنه لا ينظر إلي وأنا أجيب كان يبدو عليه الإرهاق ويكثر من التثاؤب (لعلم القارئ. نحن الآن في رمضان 1399 هجرية وعملية جهيمان في الحرم كانت في شهر المحرم 1400 وتحديدًا في غرته أي تفصلنا عنها ثلاثة أشهر: شوال- ذو القعدة- ذو الحجة).

سارت الأمور بهدوء ورتابة في الدمام وكانت معاملة إدارة السجن والجنود والأفراد وحجير معاملة سلسة ولم يكن فيها ما يُعكر البال. وكان (الرائد عبد الله) يتردد علينا يوميًا و يستكشف مزاجنا العام و يتقبل الكثير مما نقوله بروح إيجابية تشجعنا على الانخراط في حديث معه وكأنه يلعب دورًا مرسومًا له. لقد نجح في كسب ثقتنا وهذا الأمر يُشهد له. بعد مضي عشرين يومًا على هذا الحال وخلال العشر الأواخر - فيما أذكر- سمعنا حركة غير عادية عند مدخل القبو ودخل الردهة مجموعة من المدنيين الذين يرتدون الزي الوطني (عقال - غترة - بشت - دشداشة) وانتشرت في الممر رائحة طيب وبخور يبدو أنهم شخصيات رسمية وتوقفوا عند باب الزنزانة ينظرون إلينا بتمعن من وراء القضبان. ثم انفتلوا. أما نحن فكنا في عالم آخر. رفع (س. ش) الأذان وتقدم (عبد اللطيف. د) الصف وكبر تكبيرة الإحرام وصلى بنا صلاة مودع وتلا الآيات العظيمة ليته لا يتوقف.

بعد أن فرغنا من الصلاة التفت إلى عبد اللطيف واخذ يُمعن النظر إلي وكأنه يناديني وأشار بعينيه الواسعتين اليقظتين أن اقترب. همس في أذني: رأيت بعد صلاة الفجر رؤيا فيك. قلت: خير. قال: أبْشِر بالفرج اليوم. كان ذلك بعد صلاة العصر. تحلقنا حوله - أي عبد اللطيف- وفتح مشعل (حاشية السِّندي على صحيح البخاري) وأخذ يقرأ بصوته العذب المحتشم: (عن أنس t قال: لما ثقل النبي ﷺ جَعَل يتغشاهُ الكرْبُ فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرْبَ أبتاه. فقال: ليس على أبيك كرْبُ بعد اليوم. فلما مات قالت: يا أبتاه. أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه. إلى جبريل نعاه. فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟» رواه البخاري: كنت أنصت وفي نفس الوقت

أتأمل أثر ما قالت فاطمة رضي الله عنها وأرضاها في وجوه الشباب المدهشة فأرى عجبًا. هل يستحق هؤلاء أن يكونوا في هذا القبو؟ قبيل موعد الإفطار بنصف ساعة دخل علينا ضابط في الزنزانة وأمسكني من يدي وقال: تعال معي يا عبد الله. قلت: أنا عبد اللطيف. قال: أذكر الله. قلت: لا إله إلا الله. أدخلني غرفة في الطابق الأرضي مكيفة ما كدت أجلس على طرف كرسي فيها حتى سمعت الأذان يرفعه (س. ش) فأحضر الضابط لي طبقًا صغيرًا من الرطب وقال: (إجدع) وبعد العشاء سوف تذهب إلى الكويت هذا أمر عاجل من الأمير عبد المحسن بن جلوي بالإفراج عنك ووالدك كان ضيف عنده البارحة: تنزلت كلماته بردًا وسلامًا عليّ. بعد صلاة العشاء طلبت من الضابط الذي لازمني في الغرفة أن أعود إلى الزنزانة لأودع رفقائي فقال: غير مسموح ذلك لكن سأرافقك ولا تطل الكلام معهم. دخلت على (الربع) وقبلت رأس عبد اللطيف. إمامنا وشيخنا وهمست: لقد صَدَقَت رؤياك. وسلّمت على جميع الإخوة وأخذت منهم رسائل لأهاليهم وأرقام هواتف كان علي أن أتصل بها. اعترض الضابط على الرسائل قائلاً: لم نتفق على ذلك. نظرت إليه نظرة (مِنتخي) لامست قلبه فانتخى وخرجنا من المبنى وامتطيت سيارة بيضاء صغيرة (ربما كريسيدا) وقال الضابط الذي يقودها سنتجه إلى (الخفجي) ومنها إلى الكويت. عندما وصلنا الخفجي وتعديناها ودخلت الأراضي الكويتية لم أصدق ما رأيت المرحوم بإذن الله الشيخ فهد الأحمد الصباح كان ينتظرني وفي استقبالي. (ما تشوف شر) قال بصوته الأبح وطلب مني النزول من السيارة التي تجمعني مع الضابط ومرافقته في سيارته الفارهة. شكرت الضابط السعودي واستأذنت منه فأذن لي وودعته. في الطريق إلى (الديرة) قال لي فهد الأحمد المرحوم بإذن الله أنه مكلف من أخيه الشيخ جابر الأحمد المرحوم بإذن الله باستقبالي وأنه غدًا صباحًا يستقبلك في مكتبه. فقلت له: لن أزور أحدًا من المسؤولين في الكويت لقد

أخطأوا في حقي وظلموني وعليهم أن يردوا الحق لأهله ويعتذروا وكل ما أريده الآن هو جواز سفري لأغادر هذه (القرية الظالمة) وأعمل في بلاد الله الواسعة. التفت عليّ وهو يقود السيارة وأطال النظر وقال: ابعدي والله زين ما تسوي جوازك سوف أحضره أنا شخصيًا إلى منزلك غدًا. وفعلاً وفى فهد الأحمد بعهده. من الغد اتصل مكتب الشيخ سعد العبد الله المرحوم بإذن الله (وكان يشغل وقتها أيضًا منصب وزير الداخلية) وكان مدير مكتبه أحمد الحمود الصباح وقال إن الشيخ سعد يريد أن يراك في مكتبه بالشامية فقلت له: أنا هذه الساعة أنتظر فهد الأحمد ليحضر لي جوازي وبعد أن استلم جواز سفري ما عندي مانع أزور الشيخ سعد وإذا زرته فأزوره من أجل إخواني في الدمام وعددهم 36 ومطلوب بذل كل جهد للإفراج عنهم فورًا. قال: بالضبط هذا هو الموضوع. ومن الغد توجهت لمكتب الشيخ سعد في الشامية وقبل أن أجلس قلت له أن زيارتي جاءت بناء على طلبك وليس طلبي فلا ينبغي أن تفهم خطأ هذه واحدة. أما الثانية فهي تجيء - أي زيارتي- لأجل إخواني في الدمام المطلوب الإفراج عنهم فورًا. قال: أولاً أهلاً بك والحمد لله على السلامة. ثانيًا فعلا الموضوع الآن الأهم هو الإفراج عن إخوانك. ضغط على الجرس فدخل أحمد الحمود فأمره أن ينادي على اللواء محمد القبندي (أبو جهاد) الذي حضر بعد دقائق وقال له أمامي اذهبوا إلى الدمام ومعكم رسالة سنعدها الآن موجهة للأمير عبد المحسن بن جلوي أمير المنطقة الشرقية نطلب منه الإفراج الفوري عن الكويتيين في الدمام. وفعلاً هذا الذي حصل ووصل إخواني الكويت وزرت معظمهم في الفنطاس والفحيحيل والصليبية والجهراء فيما أذكر واطمأننت على معظمهم.

جامعة إكستر Exeter

فور تسلمي لجواز سفري من فهد الأحمد -يرحمه الله-، والذي أحضره شخصيًا إلى منزلي باشرت بدراسة العروض التي تسلمتها من جامعات شتى على مدى سنة كاملة ونصف السنة كان جوازي مسحوبًا فوجدت أن أنسب عَرْض هو الذي وصلني من جامعة إكستر في إنجلترا (الجنوب الغربي) فما كان مني إلا أن اتصلت بهم (د. تيم نبلوك Tim Niblock ود. عبد الحي شعبان A. Shaaban)؛ حيث هناك مركز خاص يُعنى بشئون الخليج Arab Gulf Center إكستر مدينة هادئة في الجنوب الغربي من الجزيرة البريطانية. يُعرف تيم نبلوك باهتمامه الحثيث بالشئون العربية، وكان في السابق مهتمًا بليبيا والعراق، ولكنه في السنوات الأخيرة اهتم كثيرًا بمنطقة الخليج والجزيرة العربية وله كتب مهمة في هذا المجال.

أما المرحوم -بإذن الله- عبد الحي شعبان فمهتم بالتشيع وفرق الشيعة وله كتاب مهم حول حركة الحشاشين (حسن الصّباح) The Assassins. تبعد إكستر عن لندن بالسيارة تقريبًا ثلاث ساعات جنوبًا غربيًا والمركز المهتم بشئون الخليج العربي جديد النشأة ويعمل به مجموعة من ذوي العلاقة بالموضوع وبالإضافة للزملاء د. شعبان ود. نبلوك سعدت بمعرفة بلفور پول Balfour Paul الذي كان يعمل في وزارة الخارجية البريطانية وعمل في السفارات والسلك الدبلوماسي البريطاني في السودان وتشيلي ولبنان ودبي والبحرين وسفيرًا في العراق وفي تونس والأردن. وله معرفة شخصية بكيم فيلبي Kim Philby الجاسوس البريطاني الذي عمل مع الكي جي بي k.G.B وكذلك معرفة شخصية بصدام حسين. وكذلك كان في المركز سفير بريطانيا إيران أنتوني بارسونز Anthony parsons وكذلك بريان بريدام Brian pridham.

كان العبء التدريسي في المركز خفيفًا، وركزت على تعريف الطلبة بشئون الخليج والجزيرة العربية (التاريخ، والتكوين الاجتماعي، السلطة في الجزيرة العربية، الحياة السياسية، الأزمات وغيره من المسح العام في شئون الخليج) وكان في إكستر مجموعة من الطلبة الخليجيين الذين يعدون للدراسات العليا من ضمنهم د. غانم النجار والمرحوم -بإذن الله- د. عبد اللطيف الرميحي. ومن حسن الصدف أن عُقدت ندوة حول الخليج والجزيرة العربية تحت رعاية المركز وطلب مني د. نبلوك أن أكون ضمن قائمة المتكلمين فيها و إعداد ورقة تتعلق بموضوع الندوة. وفور إلقائي كلمتي أو بالأحرى محاضرتي صارحني د. سعيد سلمان وزير التربية والتعليم آنذاك في دولة الإمارات بإعجابه بالمحاضرة ودعاني للتدريس في جامعة الإمارات (العين). فشرحت له خلفية وجودي في إكستر وأنه يُسعدني أن أدرس أبناء الخليج عوضًا عن التدريس في جامعات أوروبا. فوعد أنه سيتخذ كل الإجراءات لكي أنتقل إلى مدينة العين في إمارة (أبو ظبي) (عاصمة دول الإمارات العربية المتحدة)، وسوف تتصل بك - هكذا قال- السفارة في لندن لترتيب انتقالك. وبعد عدة أشهر من لقائنا في إكستر التقينا في العين وكان نعم الرجل (أبو خالد) وبدأت مرحلة جديدة من العمر قضيتها في مدينة العين الخضراء الجميلة وفي دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة.

العين 1981 - 1984

● خصصت لي الجامعة في العين وكان يرأسها المرحوم -بإذن الله- د. عز الدين إبراهيم (المستشار الثقافي للشيخ زايد المرحوم بإذن الله) فيلا فسيحة تحيط بها حديقة واسعة وتشتمل على سبع غرف نوم وملحقاتها من الحمامات

وصالات ثلاث فوجدت أنها موحشة وأكثر من حاجتي. فطلبت من الجامعة سكن أصغر وأكثر ملائمة، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك. فوصلنا إلى حل أن يعطوني (بدل سكن) ويتركوني أتصرف. وبعد الانتهاء من المحاضرات وفي يوم ماطر في (العين) الجميلة أخذت معي (بدل السكن) وتوجهت إلى فندق (هيلتون- العين) وقابلت المدير هناك. أخبرته أني ربما أحسن زبون في الفندق. قال: كيف؟ ماذا تقصد؟ قلت: سأسكن عندك لمدة سنة قابلة للتجديد وسأدفع لك ستة أشهر مُقدمًا، ما رأيك؟ قال: أنت فعلاً أحسن زبون في الفندق. إيه طلباتك؟ قلت: أريد جناحًا فيه غرفة نوم وصالة ومطبخ للتحضير وحمام و إفطار صباحي ووجبة أخرى إما غداء أو عشاء لمدة سنة وسأدفع لك مقدمًا الآن. احسبها كم تكلف يوميًا؟ وقف وذهب إلى طاولة قريبة في الغرفة وأحضر آلة حاسبة Calculator، وأخذ يركز النظر على الآلة ويكتب بعض الأرقام على ورقة ثم نظر إلي وقال: عشانك (ثلاثمائة درهم يوميًا) أي ما يعادل (خمسة وعشرين دينارًا كويتيًا) يوميًا. قلت له: دي ولا نكبة حزيران. ضحك كثيرًا وبصوت عال. قلت له: أنت ما سمعتش حليمو: عشانك يا قمر أطلع لك القمر مادام هواك أمر دانتا ماطلعتش ولا حاجة. استمر في الضحك بل القهقهة لو رآه (بادر ماينهوف) لنهاه عن ذلك. في نهاية المطاف وطول الحديث وتطبيق مبدأ هركابي «الإسرائيلي» بالتفاوض اتفقنا أن تكون الأجرة اليومية daily rate (مائة وخمسين درهمًا)؛ أي ما يعادل (اثنى عشر دينارًا كويتيًا) بالنسبة لي كانت هذه صفقة لا تقل أهمية عن صفقة (Salt 2) طلبت منه أن يأمر سكرتاريته بطبع العقد لكي نوقعه وأسلمه الكاش فورًا (قبل أن يغير رأيه) وقد كان وانتقلت إلى الجناح من تلك الفيلا الموحشة. بقي من بدل السكن مبلغًا محرزًا تمكّنت أن أشتري

به سيارة بليزر (4WD) عاجية اللون (لوني المفضل) بركة ونعمة وستر وفضل من الله.

فور استقراري في الجناح أخذت تاكسي إلى الجامعة. نحن في بداية العام الدراسي 1981 - 1982. زرت كل أنحاء الجامعة وتعرفت عليها ولقيت كل ترحيب من المدير إلى عمداء الكليات إلى رؤساء الأقسام وأكثر من ذلك الطلبة. شعرت أني في فترة نقاهة معنوية وأدبية وبدأ يدب في داخلي حب للإمارات ولأهلها. كان يرأس القسم - قسم السياسة- زميل قديم في جامعة الكويت وهو د. علي عبد القادر الذي رحَّب بي أجمل ترحيب يجمعني وإياه تذوقنا للطعام وكنت أستمتع بل وأحرص على الجلوس بجانبه في مآدب العين الكثيرة. ولأنني كنت أرتدي الزي الوطني (العقال والغترة) كان من السهولة ملاحظتي في بحر بشري من الزملاء المصريين (الأفندية). ورغم الدعم الأدبي والمادي لكل من هيئة التدريس والطلبة والذي تبذله الدولة هناك فإنني لاحظت من أول أسبوع حالة الكسل العام وفقدان الدافعية لدى الجميع للعمل والمثابرة والمتابعة. وأذكر في هذا الصدد وخلال محاضرة لطلبة العلوم السياسية وكانت المحاضرة في ذلك اليوم عن هيغل والديالكتيك والتفسير المادي للتاريخ وهذا موضوع معقد ويحتاج إلى يقظة وانتباه كان هناك - وفي الصف الأول- طالب كأنه أكبر سنًا من باقي الطلبة يتثاءب بشكل استفزازي ولتثاؤبه (ريثم rhythm) و(طقوس ritual) تبدأ برجفة عند الركبتين، ثم ينظر إلى السقف بعينين غائمتين ثم فجأة ينتصب الكوعان إلى أعلى كأنه طائرة صغيرة توشك أن تقلع ثم يفتح الفم حتى يظهر لسان الموت ثم يصدر أخلاطًا من الأصوات كأنه يحتضر. قلت لنفسي: كيف يفهم هذا المخلوق هيغل؟ ثم رحت أتغافل وأبحث عن وجه يدفعني للمضي في شرح

هيغل فلم أفلح. أحسست بحرقة عند مدخل المعدة، ربما حموضة، أخشى أن تكون بداية قرحة حذرني منها الطبيب أكثر من مرة ونصحني بالهدوء والترويح عن نفسي بالسباحة في البحر والرياضة وعدم الإسراف في القراءة والمطالعة. عندما عدت إلى القسم في ذلك اليوم شكوت لزملائي حالة الطالب الذي يتقن فنون التثاؤب، وكيف أنه يسبِّب لي شيئًا من الإحباط فضحكوا حتى دمعت أعينهم وقال لي أحدهم: Take it easy يا عزيزي.

مُشكلتي أنني لا أستطيع أن أتعايش مع الغَلط وهذا الأمر يسبب لي كثيرًا من الاختناقات في أيامي العادية ومع الجميع ولا أدري كيف أحل هذا الموضوع. لكن الحياة الجامعية في العين - رغم كل إخفاقاتها- لم تحمل معها مرارة كالتي كنت أستشعرها في الكويت. لماذا؟ لا أدري.

● وقفت على الشرفة في الصباح الباكر وتنفست ملء الرئتين هواء العين النظيف الطازج ولمحت عصفورًا على غصن من الشجرة القريبة وهو يلتقط رزقه ويطير قلت لنفسي: ليتني هذا العصفور، ليتني أطير وأختفي وراء الأفق. أشرقت الشمس وطلبت الإفطار الصباحي من الروم سرفيس (خدمة الغرف) وتناولت إفطاري - كالعادة- في البلكون؛ حيث تتجمع العصافير وتأكل معي في نفس الطبق واستمتع بإطعامها وهي تحط على كفي وتنقر إصبعي. لقد ألفتني عصافير العين وألفتها حتى أني أفتح باب البلكون وحقيبة كتبي بيدي وأعلنها للعصافير: ها قد أتيت. وعندما أنزل من الجناح إلى الطابق الأرضي أجد الشيخ سحيم آل ثاني المرحوم -بإذن الله- وصقوره وصقارته وقد افترشوا الأرض في اللوبي فأنضم إليه وأتناول معه قهوته العربية اللذيذة والمُترعة بالهيل وأقول له (أنا وأنت ضحيتان للطغيان السياسي) فيضحك الشيخ سحيم ويقول: والله صدقت يا عبد الله.

● الطريق بين هيلتون العين والجامعة دقائق بالسيارة البليزر (4WD) العاجية التي اشتريتها من سوق دبي للسيارات بسعر جيد جدًا. لم تكن مدينة العين وقتها عامرة كما هي اليوم. معظمها كانت برًّا ترعى فيها الإبل الحمر وتمشي بالطرق بكل حرية مما سبب كثيرًا من الحوادث المؤسفة خاصة على الطرق الرئيسية بين العين من جهة ودبي وأبو ظبي من جهة أخرى. أما الآن فالعين عامرة ومتنامية بشكل سريع وتلقى اهتمام واضح من الحكومة الاتحادية تحسدها عليه المدن الأخرى في الإمارات. الإدارة في الجامعة كان يرأسها مدير الجامعة المرحوم -بإذن الله- د. عز الدين إبراهيم وهو كما ذكرت سابقًا المستشار الثقافي للشيخ المرحوم -بإذن الله- زايد آل نهيان، وكان محط ثقته وهو رجل أهل لتلك الثقة ويُحب مصلحة الإمارات وأهلها وصادق النصيحة للشيخ زايد رحمه الله. وكان الأخير -رحمه الله- يحيط نفسه بمستشارين من العيار الثقيل، وكان يستفيد كثيرًا من وجودهم حوله ويؤكد على حرصه الاستماع لهم والتداول معهم في شئون الدولة الداخلية والخارجية. من هنا تأكدت مكانة الشيخ زايد -رحمه الله- وذاع صيته خليجيًا وعربيًا وعالميًا كرجل توافق وسعة أفق ومرونة استطاعت أن تلملم أطراف الدولة الكبيرة (مساحة) بالمقارنة ببعض دول الخليج الأخرى مثل: قطر والبحرين والكويت، والتي كانت وقتها تعاني من مشكلات هيكلية. وكان وزير التربية والتعليم وقتها د. سعيد سلمان يقود مجلس الجامعة وفق رؤية واضحة وسديدة وحريص على التشاور مع كبار الموظفين في الإدارة مثل د. سعيد حارب وإخوانه وكان د. سعيد سلمان ذا خبرة سياسية تعود لأيامه في الدبلوماسية؛ حيث كان سفيرًا للإمارات في فرنسا وهي مسؤولية أكسبته تجربة ثرة ونسجت له علاقات واسعة في الأوساط السياسية والثقافية في

فرنسا وكان كذلك محط ثقة واعتماد الشيخ زايد -رحمه الله- لذلك كانت الجامعة تعيش أيامًا واعدة للغاية كما لمست خلال عملي فيها 1981 - 1984.

● ذات يوم (ربما شتاء 1983) اتصل بي مسؤول في وزارة الخارجية الإماراتية (إ. غ) وأخبرني أن الوزارة تحب أن تستضيفني في الدورة الثقافية الدبلوماسية بإلقاء محاضرة حول (منظمة مجلس التعاون الخليجي) الوليد الجديد في شريط النفط. حاولت أن أتملص من الدعوة لسببين: أولاهما: أن رأيي الشخصي في هذه المنظمة سلبيًا، ولم أكن أرغب بأن أحرج الخارجية الإماراتية برأي خاصة وأن كل من السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي يحضرون هكذا مناسبة. ثانيهما: أن المنظمة التعاونية الخليجية ما زالت صغيرة السن (نشأت 1981) فليس من الموضوعية الحكم عليها والتعجل في وزنها إذا كان الأمر كذلك. فألح الداعي وأخبرني أنه لا تمانع الخارجية الإماراتية أن أصدع برأيي ولو كان مخالفًا للرواية الرسمية. فقلت له: إذن سوف أركز على الاطار الاستراتيجي والعسكري لقيام هذه المنظمة وارتباطها بالحرب العراقية الإيرانية التي كانت في أوجها وارتباطه كذلك بالمراجعة الشاملة للإستراتيجية الأمريكية عشية الثورة الإيرانية 1979 وخلاصة القول إن مجلس التعاون الخليجي ما هو إلا مظلة سياسية لمشروع عسكري أمريكي قيد التنفيذ في شريط النفط يومذاك. وقلت للداعي إن هذا القول سوف يثير كثيرًا من الأطراف ضدي وربما ضدكم. أكد لي غير ذلك وتم تحديد موعد للمحاضرة ألقيت في قاعة فسيحة مُلحقة بفندق مريديان (أبو ظبي). لم أكن أتوقع ما رأيت. القاعة ملأى عن بكرة أبيها وفي الصف الأول سفراء الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي والدول الأجنبية، وفي الصفوف الأخرى

العاملون في الخارجية الإماراتية والصحافة في الدولة ووكالات الأنباء الأجنبية والصحفيين الأجانب وعدد كبير من طلبتي وطالباتي في الجامعة لم يكن من بينهم الطالب الذي يتقن فنون التثاؤب خلال محاضرة هيغل ألقيت المحاضرة (الطويلة) المُفصّلة وشرحت تخلي الأمريكان عن سياسة (توازن القوى) في الخليج Balance of power وتخليهم عن نظرية (العمودين المتساندين) two pillars system وتبنيهم لنظرية تغذية النزاع في الخليج النزاع الخفيف المحدود والمحكوم إستراتيجيا low intensity conflict، وكيف أن هذا التحول الأمريكي يتطلب نشوء وقيام منظمة مجلس التعاون الخليجي إذن قلت. تأت هذه المنظمة في إطار ذلك الظروف استجابة لحاجة إستراتيجية أمريكية ولمشروع عسكري أمريكي في شريط النفط وتشكل هذه المنظمة مظلة سياسية له. ولذلك لا أتوقع أي جدية من الدول الأعضاء لتنمية التنسيق بينهما الموصل للوحدة كما ينص (النظام الأساسي) الوثيقة التأسيسية للمجلس لاحظت تململا في الصف الأول بين سفراء دول مجلس التعاون الخليجي والذين تطور إلى انسحاب (لا أذكركم واحد منهم) وعندما ختمت المحاضرة وشكرت الخارجية الإماراتية أن أتاحت لي الفرصة للإعراب عن وجهة نظري هذه ضجت القاعة بالتصفيق وتقاطر عليَّ الصحفيون الأجانب ووكالات الأنباء وفي جعبتهم الكثير من التعليقات والأسئلة.. ومكثت معهم برهة أناقشهم وأرد عليهم بلغتهم الإنجليزية مع تشجيعي لهم على تعلم لغتنا العربية الغنية العظيمة. من الغد وفي الصباح الباكر اتصل بي السيد أحمد السويدي المستشار المقرب للشيخ زايد -رحمه الله- وطلب مني تأجيل عودتي للعين إذ أنه يرغب دعوتي إلى الغداء في منزله لتبليغي رسالة من الشيخ زايد -رحمه الله-. وفعلا كان الغداء في منزل السيد السويدي في حي

(البطين) الذي رحب بي أجمل ترحيب وقال: الشيخ زايد يسلم عليك ومسرور جدًا من المحاضرة ويقول زين سوّيت فيهم وأنت في ديرتك وبين أهلك. قلت: الله يسلم الشيخ وأنا فعلا أحس أني في ديرتي وبين أهلي لذلك أخذت حريتي في الكلام. كان لقاءً دافئًا مع السويدي وهو رجل مخضرم وثاقب النظر وذو خبرة سياسية استفاد منها كثيرا الشيخ زايد رحمه الله. بعد هذه المحاضرة تقاطرت على الطلبات. لإلقاء المحاضرات في رأس الخيمة والشارقة ودبي وكانت حملة توعية عامة أخذتها على كاهلي تعرفت من خلالها على أهل الإمارات الطيبين الذين يجمعون في شخصيتهم مزيجًا غريبًا ونادرًا من الأصالة والمعاصرة في الوقت ذاته.

- إبريل 1974 تسلمت دعوة من المرحوم -بإذن الله- د. سيف غباش وزير خارجية دولة الإمارات العربية المتحدة لإلقاء محاضرة حول شئون الخليج. أحسست أن الدعوة كانت رغبة من د. سيف للقاء بي والتشاور معي أكثر منها دعوة لإلقاء المحاضرة. طبعا سعدت بالدعوة؛ لأنها تصدر من رجل يعد من الكفاءات الوطنية. والتي وضعها المرحوم -بإذن الله- الشيخ زايد آل نهيان في المكان المناسب وهذا ما يميز الأخير إذ أن قراراته في معظمها تروم تحقيق الصالح العام وصلت مدينة أبو ظبي واستقبلني د. سيف في مكتبة وأخبرني أننا سوف نجتمع غدًا بعد المحاضرة على العشاء وبعد غد سيكون لنا اجتماع في مكتبة لنتداول في بعض شئون الدولة والسياسة. من الغد كانت المحاضرة في (قصر الخبيرة) وكان موضوعها (ميزان القوى في الخليج) ركزت فيها على تنامي قوة الشاة في طهران وارتفاع أسعار النفط مما زادته قوة، إلى قوته وأصبح ميزان القوى في الخليج يميل إلى صالحه، وطالبت الدول العربية المطلة على الخليج أن تحسم أمرها فإما أن تركب كل المراكب

لتجاوز انكشافها السياسي والعسكري والاجتماعي بشكل سريع أو تحاول أن تتفاهم مع الشاة على صيغة تعايش تحافظ على استمرار ميزان القوة بين الضفتين. أما أن نكون في حالة انكشاف سياسي وعسكري واجتماعي وضعف وهشاشة ومع ذلك يتصاعد خطابنا الإعلامي ضد إيران فهذه مغامرة لا تنم عن حكمة. ثم ركزت بشكل خاص على (الندرة السكانية) التي تعاني منها دول الخليج وبالذات دولة الإمارات وأنه لابد من المباشرة فورًا بتجاوز هذا الانكشاف الاجتماعي الذي يجعل من مواطني دولة الإمارات (أقلية ضئيلة small minority) في وطنهم إزاء بحر من الوافدين الأجانب والذين يشكلون (أغلبية كبيرة large majority) هناك. أذكر أن المحاضرة حرّكت نقاشًا صحيًا شارك فيه بنشاط عدد من السفراء الحاضرين وأخص منهم بالذكر السفير العراقي الذي اعترض على اقتراحي حول التفاهم مع الشاة مؤكدًا أنه يوافق على اقتراحي بضرورة تجاوز الانكشاف السياسي والعسكري والاجتماعي الذي تعاني منه الدول العربية الخليجية. كما لاحظت اهتمام عدد من السفراء الأوروبيين بالمحاضرة وبارتياحهم للأسلوب العلمي لطرح الموضوع والحلول البراجماتية للإشكالية المطروحة في المحاضرة. أما د. سيف -رحمه الله- فكان سروره بالمحاضرة لا يوصف، إذ قبلني على الطريقة العربية واحتضنني وهمس بأذني: يا أخي تعال عندنا وأترك الكويت فنحن أحوج لأمثالك ونلتقي غدًا صباحًا عندي في المكتب.

من الغد صباحًا سعدت بزيارة د. سيف في مكتبه. قال لي د. سيف إن المحاضرين في العادة يطرحون الإشكاليات دون طرح الحلول وما يميز محاضرتك البارحة.أنك طرحت الحلول والبدائل. وأخطر ما يقلقني أكمل د. سيف - هو موضوع (الندرة السكانية) التي نعاني في الإمارات، ما رأيك

في الحل؟ قلت: الحل في اليمن، فاليمن فيه كثافة بشرية وفي الوقت نفسه اليمن قريب جغرافيًا من الممكن مد سكة حديد مع الإمارات. لماذا لا تعمل الإمارات على استيراد العمالة اليمينة وهي عمالة أثبتت نجاحها في ميتشيجان (ديترويت) في الولايات المتحدة وفي شيفيلد في إنجلترا وثقافة اليمنى وعاداته وأخلاقه ودينه ولغته قريبة جدًّا من مجتمع الخليج والجزيرة العربية والبديل اليمنى قطعًا أفضل من هذا الكم الهائل من الفلبينيين والهنود والكوريين وغيرهم وهم من ثقافة ولغة ودين وأخلاق مختلفة تمامًا عنا عوضًا أنهم يأتون من بلاد بعيدة للغاية تعيش ظروفًا غير ظروفنا تمامًا. لماذا لا تتفق الأمارات مع اليمن على (كوتا) سنوية لنقل (عشرين ألفًا) وتوطينهم في أراضي الإمارات الشاسعة والخالية وتوظيفهم كبديل يحل محل العمالة الأجنبية بطريقة تدريجية؟ انشرح د. سيف للفكرة وتحمس لها وعد بتفعيلها وطرحها على الشيخ زايد -رحمه الله- وأظن أنه فعل وأن الشيخ زايد -رحمه الله- وافق على هذا الحل كما علمت لاحقًا. وتداولت مع د. سيف -رحمه الله- عدة مواضيع من ضمنها إعادة النظر كليًا في هيكل جامعة العين وتخصصاتها وكلياتها فلسنا في الخليج -كل الخليج- بحاجة لدراسة شعر الغزل في العصر العباسي حتى نستورد الاختصاصيين فيه ونصرف عليهم وعلى عوائلهم لسنوات لتخريج كوادر متخصصين بالغزل أو حتى الأدب أو الفن. هذه ميادين لا تهتم بها المجتمعات والدول إلا إذا استكملت أبنيتها التحتية والفوقية وتوفر لديها إنجازات وانتصارات أما نحن الذين نعاني من تخلف على كل صعيد ولم نستكمل أبنيتنا التحتية والفوقية فبحاجة إلى كوادر واختصاصيين ينجزون لنا عملية (التنمية) وهي عملية تحتاج إلى بشر غير البشر. الذين يتخرجون في جامعة العين أو جامعة الكويت وهم

كتبه وموظفون إداريون لا أكثر ولا أقل. قلت له: نحن دول نفطية وتطل على البحر فالنفط والبحر هما أهم مجالين في حياتنا ونحن بحاجة إلى كوادر تعني بشئون النفط تنقيبًا وتصنيعًا ونقلًا وبيعًا؛ وبحاجة لكوادر تعني بشئون البحار والثروات العظيمة المخبوءة فيها والحفاظ على هذه الثروات واستثمارها، فإذن هناك مجالان يجب أن تقوم الكليات والأقسام العلمية للعناية بهما النفط والبحر لذلك لابد أن تلغي كثير من الكليات الحالية والأقسام الحالية وتقوم كليات جديدة وأقسام جديدة وفق هذه الرؤية.

كان د. سيف شديد التجاوب مع هذا الطرح، وقال إن هذا الأمر يحتاج إلى قرار سياسي من فوق أي من الشيخ فقلت له ولم لا لو شرحت له الأمر أنت فسوف يسمع لك ووعد أنه سيفعل. ولم أتأكد منه بعد ذلك إن كان قد طرح الموضوع مع الشيخ زايد -رحمه الله- أم لا. لكن هذا هو الحل الذي أراه للتعليم العالي في دول مجلس التعاون الخليجي يجب أن تكون خطتنا في التعليم العالي ملبية لحاجتنا في السوق وفي التنمية ومتجاوبة مع بيئتنا وموقعنا الجغرافي والإستراتيجي وخصائصه. ولا ينبغي أن تكون جامعاتنا نسخ من جامعات أخرى كما هو الحال والذي يورطنا في مشكلة البحث عن وظائف (jobs) لا حاجة لنا بها وبالتالي نقع في (البيروقراطية) و (التضخم الإداري) و(البطالة المقنعة).

بين العين والكويت 1984

● كنت بين الحين والآخر أتردد على الكويت للاطمئنان على عيالي خلال العطلة الأسبوعية (خميس - جمعة) وكان يزورني عدد غير قليل من الأصدقاء خلال وجودي في الكويت. اقترح بعض الأصدقاء عليَّ أن أعود إلى الكويت. قلت لهم إن اهتمامي هو في التعليم والتدريس وأن الحكومة الكويتية فصلتني من هذا المجال ولا تقبل أن أعود إليه. فقال لي أحدهم من عيار (بادر - ما ينهوف): يا أخي طب على الحكومة بالبراشوت وأخذ ينظر إليَّ بتمعن وكأنه يرقب ردة فعلي على (البراشوت) قلت له: ماذا تقصد؟ قال: الانتخابات لمجلس الأمة ليست بعيدة. قالها وهو يبتسم (بخبث) لم يُعرف عنه. قلت: يعني؟ قال: يعني. وهو ينظر إلي هذه المرة وكأنه جان مارك رولان مؤسس منظمة العمل المباشر l'action directe الفرنسية العنيفة. فهمت قصده: أن أترشح للانتخابات. نظرت إليه ونظر إليَّ ثم قال: صح. قلت: ما الصح؟ قال: الذي تفكر فيه. قلت له: لم أفكر فيه إطلاقًا، ولكن كنت أفكر في مقصودك أنت. قال: أدري ولكن نحن نزورك اليوم لتفكر جديًا بالموضوع. محاولا أن أغير موضوع الحديث: [أنا بشوق- صدقوني - لحاشية السندي على صحيح البخاري] نظر إليَّ جان مارك رولان وقال: هل تذكر؟ وودعتهم عند الباب على عجل لألتحق برحلة الطائرة قبل أن تفوتني إلى مطار دبي. لم أفكر وأنا في الطائرة ولو لدقيقة واحدة بالموضوع لأني لا أتخيل نفسي وأنا (أمارس) السياسة. أحب أقرأ عنها وأحاول تحليل أحداثها، لكن أن أمارسها فذلك لم يخطر ببالي لسبب بسيط وهو أني إنسان مكشوف وبسيط ولا أعرف الخداع ولا التآمر وكل ذلك في ممارسة السياسية ولو دخلت هذا الفضاء سأختنق وأفشل. ثم إن ممارسة السياسة تتطلب أولا

وقبل كل شيء (المجاملة) وهذا ما لا أطيقه ولا أقدر على تحمله. فكرت فعلا بالعودة إلى الكويت ولكن لأفتح (مدرسة خاصة) تشتمل على كل المراحل (الابتدائي والمتوسط والثانوي) وتخريج معلمين لا كتبة وموظفين، لكن هذا الموضوع يحتاج لتكاليف لا أمتلكها. بعد كل ذاك الصخب الفكري قررت البقاء في العين وإطعام الطيور في الصباح الباكر وتناول القهوة العربية على عجل مع المرحوم -بإذن الله- الشيخ سحيم آل ثاني ومداعبة صقوره في اللوبي قبل المغادرة إلى الجامعة والاضطرار لتعليم من لا يرغب في التعليم. ولكن جان مارك رولان لم يتركني بسلام.

مجلس الأمة 1985-1986

● قراران في حياتي ندمت عليهما أيما ندم. الأول تركي لدراسة الطب في مانشستر 1962 وعدم المضي بها والتخرج كطبيب، والثاني دخولي إلى مجلس الأمة 1985. حتى الآن وقد أوشكت على السبعين من عمري ما زلت أغبط الطبيب عندما ألتقيه. أما عضوية مجلس الأمة فأشبه ما تكون بعاصفة ساندي hurricane sandy في أيامي. كان (مسيو رولان) رضي الله عنه دائم الاتصال ويلح عليَّ بالعودة إلى الكويت والترشح لمجلس الأمة ووعدني بالاكتساح. قلت له أكثر من مرة: النجاح في الانتخابات شيء والنجاح داخل مجلس الأمة شيء آخر تمامًا. بسيارته العرجاء البليزر الخضراء نتجوّل (تهتز كأنها جان) يحاول أن يقنعني بعملية (البراشوت) وأنا أتمنع واستبعد الفكرة تمامًا. جمع لي عددًا غير قليل من (أعداء البهجة) وأعد مأدبة ومتكئًا طاب فيها الطعام والحديث وشاغلني بقراءة مشعل من (حاشية السندي) حتى تم تنويمي وارتخائي وأخذ القوم مني وعدًا بالنظر في الموضوع جديًا.

هربت منهم إلى المطار وحلقت بنا الطائرة إلى دبي وهناك وفي المطار وكانت رابضة (البليزر العاجية) طرت بها إلى العين.

السلام في العين؛ هذا المعتقل الأليف، حيث لا جدل ولا مزاحمة كما في الكويت. ما كدت أفتح باب الغرفة 203 حتى رنَّ جرس الهاتف. مسيو رولان على الطرف الآخر. (وصلت؟) نعم توني، إشدّراك؟ حسبتها بدقة. أنا حبيت بس أخبرك أن الخبر طش بالديرة ونحن بانتظارك الخميس لم يكن هذا اتفاقنا، وعدتكم أن أدرس الموضوع. أنت راح تضيع حياتك بالدراسة، يا أخي ألا تكفيك هذه الشهادات اللي عندك؟ نحن نريد (عمل مباشر) هل تذكر؟ نحن بانتظارك الخميس القادم. وأغلق الخط. خلال الأسبوع اتصل بي عدد من (أعداء البهجة) يؤكدون رأي مسيو رولان. تعمدت أن ارتبط خلال عطلة الأسبوع داخل الإمارات حتى لا أتورط بالتزام. إزاء الانتخابات في الكويت. محاضرة في الفجيرة - كانت هي الحل؛ ظهرت أخبارها في الصحافة؛ وأثارت جدلا لم أهتم به على الإطلاق لأن عيني كانت على الكويت اتصل بي مسيو رولان في فندق الفجيرة - كيف عرف لا أدري- وقال: كانت المحاضرة جيدة ومثار للجدل - كعادتك- لكن كثير من الناس هنا ينتظرونك ويسألون عنك حتى نحن بشوق إليك. قلت لنفسي: إلى متى هذا الهروب الخميس القادم سوف أذهب إلى الكويت ونتداول جديًا في الأمر. في العادة عندما أصل إلى مطار الكويت لا أجد أحدا يستقبلني في تلك السنين.

اضطر إلى سيارة للأجرة تقلني إلى منزلي. هذه المرة جميع أفراد العصابة كانوا هناك: ولك أن تتخير بين (الجمْس) الأسود والكراسات المنثورة فيه حول (عذاب القبر) أو (البليزر) الأخضر الأعرج الذي يهتز كأنه جان. كل

شيء قاموا بترتيبه: لك ساعتان ترتاح فيها من عناء السفر، بعدها ستجتمع بعدة لجان: لجنة المعلومات -لجنة الحشد- لجنة الرصد- لجنة العلاقات العامة -إلخ. كل لجنة من هذه اللجان قد أعدت تقريرها، ستقرؤه عليك وتناقشك فيه. لقد حسموا الأمر ولم يعطوني وقتًا للتداول حوله؛ لأنهم لاحظوا عليَّ كثير من التردد لا خوفًا من النتيجة، ولكن عدم اقتناع بالأمر كله. لقد استغرق الاجتماع مع كل لجنة على الأقل 3 ساعات يفصل الاجتماع عن الآخر ساعة راحة يعني استغرق الأمر 15 ساعة من العرض والنقاش والاستنتاج وبهذا الترتيب. قلت بعدها أريد أن أعود إلى منزلي للنوم كم ساعة قبل رحلة العودة إلى العين فقال رولان: ستنام هنا وبعد الاستيقاظ (العهد بيننا)، ثم تودّع أطفالك ثم نودعك في المطار كما استقبلناك. وقد كان. لأول مرة يركبني الهم في الطائرة وأنا عائد إلى العين.

● في الصباح الباكر قطع من الخبز والكرواسان المبلل بالحليب وقفت كالعادة في الشرفة لإطعام الطيور التي تكاثرت على وكأنها تعاتبني على قراري بالعودة إلى الكويت والمشاركة بالانتخابات. أحدها نقر طرف السبابة بقوة لم أعهدها منه. يجب ألا أنسى أن هذه أمم كما نحن: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنعام: 38] أمم تشعر وتحس بأمور لم تقع (كالزلازل مثلا الحيوانات تحس بها قبل أن تقع). تأخرت اليوم في الشرفة وأنا أطعمها وكأني أعتذر لها. في الطريق توقفت كالعادة عند الشيخ سحيم -رحمه الله- وتناولت قهوته العربية المميزة وقلت له: أودعك لأني قد لا أراك سأعود إلى الكويت للمشاركة في الانتخابات القادمة. قال -رحمه الله-: ما أنصحك بذلك يا عبد الله.

يا لها من نصيحة ذهبية لم اكتشفها إلا بعد فوات الأوان. يرحمك الله يا شيخ سحيم.

● ذهبت بعد محاضراتي لأودع المسئولين في جامعة العين وأشكرهم على اهتمامهم البالغ بي خلال إقامتي في العين ما يقارب ثلاثة أعوام 1981 - 1984 حقيقة كنت أشعر أني بين أهلي وعشيرتي.

شرحت للمسئولين في الجامعة موضوع الانتخابات في الكويت ومع تمنياتهم لي بالتوفيق فيها أعربوا لي عن ترحيبهم في أي وقت بي إذا رغبت بالعمل في العين. رفعت الهاتف على (أبي خالد) د. سعيد سلمان وزير التربية ورئيس مجلس الجامعة واستأذنت منه وكان -كعادته- فارسًا غمرني بلطفه ودعا لي بالتوفيق. حرصت بعد الغداء وهدوء الشوارع في العين والقيلولة الطويلة هناك أن أجوب الشوارع هناك لأودعها. وقفت أمام مطعم (الخروف الذهبي) تأملت قليلا وتذكرت غزواتي هناك بمعية مسيو رولان. فجأة أرعدت وأبرقت وأمطرت، هكذا العين في فصل الشتاء: شمسها دافئة ومطرها وفير، ما أحلى العين وأهلها. عدت إلى الفندق لأحزم أمتعتي وألملم أوراقي استعدادًا للمغادرة غدًا أما الكتب فقد حملتها في (البليزر) وستصل إلى الكويت بعدي بيوم. أصعب مرحلة في وداع العين كانت الساعة الأخيرة مع العصافير في الشرفة. وددت لو أن العين كلها تسمعني لأوصيها خيرًا بالعصافير. لها الله وكفى بالله وكيلا.

● لم أكن أتوقع كل هذا الاهتمام بترشيحي للانتخابات. ضابط الجوازات في المطار استقبلني بابتسامة عريضة: حي الله ولد عمي، صحيح الخبر؟ بإذن الله كان جوابي. على صدره الاسم ينتهي بـ (المطيري). بعد أن لمحت حقيبتي على المسار المتحرك التقطتها وتوجهت إلى ضباط الجمارك

سألوني نفس السؤال وأجبت بنفس الإجابة. عند المخرج إلى الصالة لمحته؛ رولان بوجهه الطفولي البريء وابتسامته العذبة غير المتكلفة وحوله رهط قليل الابتسام. أخذ أحدهم حقيبتي مني وتقدمنا (رولان وأنا) أمامهم. قال ونحن في الطريق إلى السيارة: احذر الصّحافة والإعلام عموما (الداخلي والخارجي) ولا تكتب شيئا ولا تصرح بشيء على الإطلاق، (الغموض) و(الكتمان) شعارنا لمدة شهر. لجنة الرصد ولجنة الحشد سيراقبان المشهد ويبلغانك بتقدير شفهي يوميًا العاشرة مساء. الاجتماع اليومي عندك في البيت التاسعة مساءً. اليوم الخميس وسنبدأ السبت. أشبع نومًا الليلة والقابلة لأننا سنزعجك بعدها بالسهر الذي نعلم أنك لا تحبه. احذر من التلفون، ابتعد عنه، إلا للضرورة عينهم وآذانهم عليك. الحس الأمني عند رولان عالي للغاية. قال رولان فيما قال: الكويتيون مجبولون على (المجاملة) لذلك لا ينبغي أن تصدق حرفيًا كل ما يقولون تجدهم في مجالسهم يتذمرون ويشكون وأحيانًا شبه يتأوهون فإذا دخل عليهم (المسئول) انفرجت أساريرهم وأكثروا من حرق البنحور وطيب الكلام و (الله لا يغير علينا) وإذا غادر (المسئول) المجلس عادوا لمناحتهم. هذا جزء من الفلكلور الكويتي فلا يغيب عنك ولا تنساق معهم فأرضهم رملية. أخافني كلام رولان فأنا شخص بسيط مكشوف وما عندي هذه (الباطنية) فكيف العمل؟ حيرة أنتابتني وحنين شدني إلى (العين) ذلك المعتقل الأليف الذي نعمت به ثلاث سنوات كاملة 1981 - 1984.

● غرفة ملحقة بالمنزل جعلتها شبه ديوانية ومقر للاجتماعات ولها مدخل خارجي يستطيع أعضاء (الرّصْد) و (الحشد) الدخول من خلاله ويكون (محمود) الوافد من النوبة في خدمتهم. أخبرني (الرصد) أن جماعات

إسلامية عديدة في البلد أبدوا رغبتهم بالدعم وكذلك رغبتهم بالاتصال والزيارة. وكان قرار (الرصد) الترحيب بجميعهم الدعم والاتصال والزيارة لكن بعيدًا عن الانكشاف الحركي والإعلامي والسياسي. بعض المرشحين عرضوا (التحالف) و(التنسيق)، وتكفلت (الحشد) بدراسة المطروح وخلصت إلى أننا لسنا بحاجة لذلك وسوف نخوض في هذا الأمر بالاعتماد على الله -جل وعلا- والتوكل عليه. أحد أعضاء (الحشد) من مدرسة رولان الحركية - حذرني قائلا إن التحالف أو التنسيق قد يكون ميكانيكية لاختراق حملتنا الانتخابية و إفشالها وأن (الأمن) قد لا يكون بعيدًا عن هذا المقترح فالحذر مطلوب: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ [النساء: 71] تعددت الآراء في هذا الموضوع (التحالف) و (التنسيق) وانتهينا في (الرصد) و (الحشد) أننا لسنا بحاجة لذلك. زارنا- وبعد تنسيق مع الحشد - مندوبين رسميين عن جماعات إسلامية وأبلغونا بقرارهم (الرسمي) بالدعم فرحبنا (ومنهم الإخوان المسلمين والسلف والتبليغ وغيرهم) وكان للإخوان دور مميز في الدعم والتنظيم والذي أدى إلى النتيجة الإيجابية في النهاية. اختيار الدائرة الانتخابية المناسبة كان أيضًا من المواضيع المختلف عليها. لجنة (الحشد) كانت ميّالة الاختيار (الشامية والشويخ) للترشح فيها على اعتبار أن هذه الدائرة هي مركز تواجد عائلتي وعائلات ممتدة صديقة مما يسهل عملية الحشد. شخصيًا كنت ميّال الاختيار دائرة جمهورها من الشباب الذين يتجاوبون مع الفكر الذي نطرح والرؤى السياسية التي ندين بها وليس فقط على الوشائج العائلية والقرابات فاخترت (مشرف وبيان) ونصبنا خيمة ضخمة في مشرف قبالة (إيريال مشرف) ومقابل المقر الفخيم للمرحوم أحمد الطخيم كان الأخير -رحمه الله- قد أقام

خيمة (ديلوكس) فعلا ويقدم فيها وجبات دسمة ورهيفة وحلويات وأشربة باردة وساخنة لم تخطر على بال أحد من المرشحين. كان جمهوري يأكل عند المرحوم الطخيم، ثم ينتقل إلى خيمتي لسماع المحاضرة اليومية ولذلك كان جمهورًا سفريًا حسب رولان- خفيف الظل ولطيف المعشر ولا يكلف شيئًا ذا بال. أما العاملون معنا في المخيم فمن فاته (بوفيه الطخيم) فعليه أن يرفع ظلامته لمسئول التغذية حتى يدرج اسمه ضمن مستحقي شطائر (زهرة المدائن) في حولي التي تصل عادة بعد الحادية عشرة مساءً (موعد انتهاء المحاضرة) فلا سبيل لأحد أن يأكل عندنا إلا بعد سماع المحاضرة. جاءني مسئول التغذية ذات مساء وقال: لي رجاء. قلت: لا ترجو إلا الواحد الأحد. قال: لقد قررت الليلة أن أفاتحك بالموضوع. لا أريد شطيرة (زهرة المدائن) صار لنا فوق الشهر نعلف عليها. أكو سندويش الحين (بوطابقين) يسمونه big mac فأنا أرغب فيه. قلت له: عليك بالعافية بس ترى هذا غالي فلا تبح بسرك واستعن بالكتمان فوعدني خيرًا. وقد كان. أما بقية الفرقة، فقد ألفوا (الفلافل والفول) أدامها الله نعمة عليهم وعلى الأمة العربية.

● من خلال العمل مع الجماعات الإسلامية في الانتخابات لاحظت التالي:

الملاحظة الأولى: أن هذه الجماعات -في الأعم- تؤمن بـ (الحلول الصفرية) للمشكلات؛ يعني إما أن يكون (الحل) متطابقًا 100 % مع مطروحاتها وإلا فلا. ولهذا بالطبع انعكاسه على العلاقات السياسية لهذه الجماعات، إذ سنلاحظ أن هذا الفهم يكثر من عدد الأعداء ويقلل من عدد الأصدقاء وهذا عكس تمامًا المقصود من العمل السياسي ومن ضمنه الحملات الانتخابية. ولقد توترت علاقاتنا مع عدد غير قليل من المرشحين لهذا السبب.

طبعًا أنا أتكلم عن عام 1985 وقد يكون طرأ على هذه الملاحظة تغيير كبيرًا لآن 2013.

الملاحظة الثانية: أن هذه الجماعات -أيضا في الأعم- تظن فعلا أن الانتخابات هي الحل الأمثل وأن الفوز فيها يعني يمهد الطريق لاستئناف حياة إسلامية كاملة وشاملة في الدولة. وهذا -بالطبع- تبسيط مخل للموضوع وتسطيح له. كنت دائما ألح على ضرورة (الإرشاد السياسي) لهذه الجماعات حتى لا تصاب بخيبة الأمل في نهاية المطاف. فاستئناف حياة إسلامية كاملة وشاملة لا تتم أو تتحقق بـ (قرار سياسي) من فوق أو بـ (قرار تشريعي) من الوسط بل بـ (قرار شعبي) من تحت يفرض نفسه على القرار التشريعي والقرار السياسي وهذا القرار الشعبي لم يتحقق ولم ينضج بعد حتى الآن حتى لو أن الإسلاميين سيطروا -من خلال أغلبيتهم- على البرلمانات. ثمة أوضاع وملفات وهياكل سياسية تتعلق بنظام الحكم وأوضاع المجتمع وتركيب الاقتصاد تنتظر الفكفكة والتصفية قبل مجرد الحكم باستئناف حياة إسلامية كاملة وشاملة في الدولة. وهذه الأوضاع ورثناها من مراحل الهيمنة الخارجية على الأمة من نواكشوط إلى جاكرتا (والكويت نقطة في هذا البحر) ونحتاج إلى مراحل مديدة وتحولات كبيرة قبل أن ننعتق من هذا العدوان التاريخي الذي مورس على الأمة. فهل الجمهور لديه استعداد في الكويت وخارجها للخوض في هذا الغمار؟ ربما الانتخابات تعطينا فرصة للتعبير عن هذه الإشكالية لكنها حتمًا ليس حلا لها. هذه الرؤية للانتخابات ثغرة خطيرة في التفكير الاستراتيجي للجماعات يجب أن تعالج بشكل علمي وموضوعي.

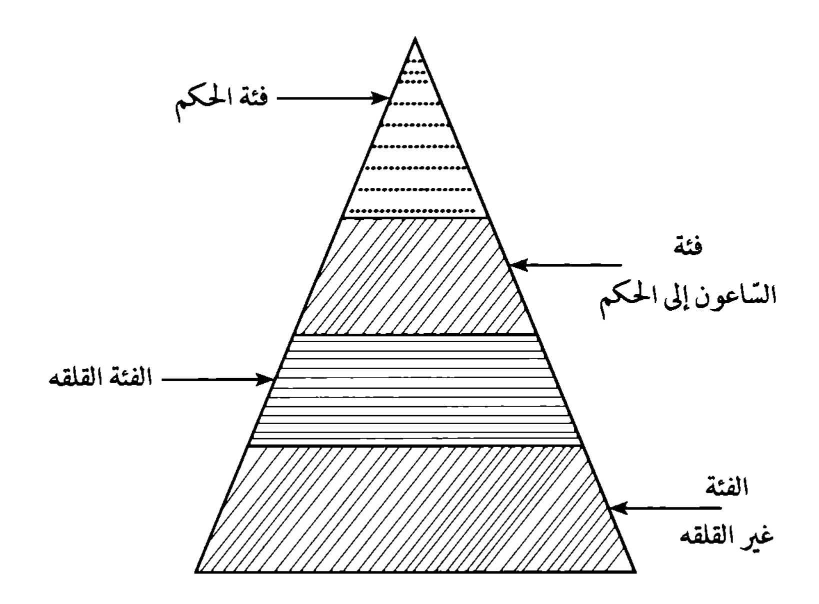
الملاحظة الثالثة: أن هذه الجماعات -في الأعم- من الممكن استدراجها

لحروب وكالة war by proxy وحرفها عن (مشروعها) إذا جاز التعبير وزجها في صراع مع تيارات لا يستطيع (النظام) أن ينجح في مواجهتها وفق تكتيك (فخار بيكسر بعضه) لقد استعمل عبد الناصر اليسار المصري بكل أطيافه لمحاربة التيارات الإسلامية في مصر، ولقد استعمل السادات التيارات الإسلامية بكل أطيافها لمحاربة اليسار المصري ويبدوا أن (حـروب الوكالة) هذه وجدت طريقها إلى كل الأقطار العربية بما فيها الكويت؛ حيث يعتبر الإسلاميون اليسار في عمومه ذراع للمشروع الشيوعي السوفيتي آنذاك وما زال زعيم اليسار الكلاسيكي د. أحمد الخطيب يعتبر (الأحزاب الدينية) في الكويت والعالم العربي مشروعًا أمريكيًا انظر مقالة د. الخطيب في الوطن الكويتية الصفحة الأخيرة 20 ذو الحجة 1433 الموافق 5 نوفمبر 2012. ما لم يترشد العمل السياسي بين العرب سنظل في دوامة (حروب الوكالة) هذه وسوف يخسر الجميع في النهاية إلا النظام العربي الرسمي.

الملاحظة الرابعة: أن هذه الجماعات سقطت في حفرة (القطرية) ولذلك تؤكد أنها كويتية محضة انبثقت في الكويت ونمت فيها وتعمل فقط لأجلها وتنفي عن نفسها أية (اتصالات خارجية) فكرية أو حركية. هذه النظرة المتخلفة المنهزمة تتجاهل حقائق عظيمة الأهمية ومن أهمها هذه الموجات العالمية الفكرية والتنظيمية المتلاطمة كيف لا تصيب الكويت وهي نقطة بل شظية جغرافية على الخريطة (مساحة الكويت 20.000 ك.م) (السكان 1985 أقل من مليونين) بينما مصر المتفاعلة ثقافيًا وتعليميًا وسياسيًا (مساحة مصر 1.002.000 ك.م) والسكان 1985 تقريبا 50.000.000 خمسون مليون.

في الكويت معظم المدرسين في المدارس والجامعات وخطباء المساجد والأئمة ودار الإفتاء والأطباء وغير ذلك من الكوادر المصرية، فكيف تنكر هذه الجماعات التأثر الطبيعي بفكر وتوجه هذه الموجه البشرية القادمة إلينا من مصر؟ ولماذا نهاب من (الاتصال بالخارج) سواء أكان اتصالا فكريًا أم حركيًا؟ ولماذا لدي الأحزاب الاشتراكية (الاشتراكية الدولية) التي تجتمع في النمسا دوريًّا لتنسق عملها على مستوى عالمي وهذا أمر متوقع ومشروع ولا تكون للجماعات الإسلامية (إسلامية دولية) لتجتمع في مكان ما من العالم الإسلامي لتنسق دورها على مستوى عالمي؟ ما الضير من ذلك؟ وما هذا التشبث المتخلف (بالقطرية) والدولة القطرية الآيلة للاندثار؟

الملاحظة الخامسة: من جهة التشكيل الطبقي class structure في هذه الجماعات لاحظت أن جمهورها من القاع الاجتماعي و إذا كانت شرائح المجتمع ممكن تقسيمها إلى أربع فئات: الفئة الحاكمة، والفئة الساعية للحكم، والفئة القلقة، والفئة غير القلقة: فإن جمهور هذه الجماعات يتكون من الفئة غير القلقة. الفئة العليا.



الفئة العليا في المجتمع السياسي هي الفئة التي تحكم (سواء أكانت عائلة أم طاقم عسكر أم دكتاتور فرد أو غيره من الإشكال). أما فئة الساعون إلى الحكم فتتكون من الوزراء والمدراء والمستشارين وغيرهم من الأفراد القريبين من دائرة القرار والساعون دائما إلى استرضاء صاحب القرار والاستفادة وتثبيت وترسيخ الوضع الراهن status quo الفئة القلقة عادة تتكون من صانعي الرأي العام أصحاب التساؤلات الكبيرة من حزبيين وكتّاب ومفكرين ومن شاكلتهم. أما الفئة الأخيرة (غير القلقة) فهي قاع المجتمع من مواطنين عاديين جدًّا تستهلكهم اليوميات من ذهاب وعودة من العمل (أيا كان) وشراء الضروريات من طعام وملابس وغيره ولا يشتمل يومهم على تساؤلات سياسية تتعلق بنظام الحكم أو الإدارة العامة ذلك لأنه استقرت في أذهانهم أن هذه التساؤلات ليست من حقهم وبالتالي فهم

تنفيذيون ينفذون أية تعليمات صادرة (من فوق). والجماعات الإسلامية تغرف من هذا البحر وتتوجه بخطابها لهذه الفئة. لكن مع مرور الوقت ومع التضخم المتسارع لجسد الجماعات وأعدادها أصبحت هذه الفئة عبئًا ثقيلًا على الجماعات وعلى هيكلها ذلك أشبه بالسمنة الورمية التي ترهق الهيكل skeleton وترهق القلب الذي يضخ الدم وترهق العقل مصنع المستقبل وورشته وترهق (الإدارة) داخل الجماعة: المشكلة باختصار هذا الكم المتسارع مع غياب المؤسسات الحركية لاستيعابه. لكن من حسن الحظ أن هذه المشكلة كان لها تفريعاتها الإيجابية على موضوع الانتخابات.

الملاحظة السادسة: تتعلق بخطاب هذه الجماعات عبر المساجد والمحاضرات والأشرطة والكاستيات والفيديو والمدارس والجامعات والتلفاز والإذاعات، إذ يلاحظ أن الخطاب موجه لهذه الفئة غير القلقة وهي فئة مع كامل الاحترام لها لا تستطيع أن تسهم في الارتقاء بالجماعة لأنها من حيث التكوين الفكري غير قادرة على ذلك. حل هذه المشكلة ربما يكون بتوجيه خطاب الجماعة إلى (أعلى) أي إلى الفئة القلقة وفئة الساعون إلى الحكم وفئة الحكم ذاتها والمثابرة على ذلك لتحقيق درجة من الاختراق في طلب النصرة الفكرية والسياسية من هذه الفئات المهمة والحساسة.

الملاحظة السابعة: تتعلق باختراق أجهزة المباحث وأمن الدولة لهذه الجماعات. فأوضاع هذه الجماعات تتيح للمباحث وأمن الدولة ليس فقط (الاختراق) بل (التحكم عن بُعد) بحركتها. ولاحظت أن المتعاونين مع المباحث وأمن الدولة من قيادات هذه الجماعات عددهم غير قليل ويحصل تحت مبررات وفتاوى لا يتردد بعض قليلي الشرف من القيادات بإصدارها وتعميمها على المساكين الأتباع. يساعد على ذلك سذاجة وجهل الأتباع.

كذلك قيام هذه الجماعات على منطق (السيطره control) وليس على (المشاورة والتوافق dialogue & consensus) وأن التربية والتعليم والتلقين الذي يتلقاه الأتباع داخل هذه الجماعات هي تربية حزبية يُسيّجها إطار كثيف من السرّية والتورية الحركية يُسهل على المباحث وأمن الدولة التسلّل إلى الداخل من شقوق السرّية التي تحيط بالجماعة في سياسة (التجنيد شبيه بجبنة الجروبية gruyere الفرنسية المليئة بالفقاعات الداخلية. فمنظر قرص الجروبية من الخارج (كتلة صمّاء massive)؛ لكن من الداخل مليء بالفراغات الكثيرة. في هذه الفراغات داخل هذه الجماعات ينام المباحث وأمن الدولة في العسل.

● خلال الاستعداد ليوم الانتخابات كنت أتعايش مع هذه الملاحظات وأراها رأي العين كل يوم وأقول لنفسي أنه لابد من التصدي لهذه الإشكاليات بعد الفراغ من الانتخابات. لكن- أسأل نفسي - كيف من الممكن القيام بكل هذا فسوف يستهلكنا مجلس الأمة والعمل فيه؟ ساد جوٍ من المنافسة الشريفة في انتخابات 1985 هذا ما أجمع عليه كثير من المراقبين. ولم يكن أمام السلطة مجال واسع للمناورة واللعب بالأوراق؛ لأن الحرب بين العراق وإيران كانت على أشدها وكانت السلطة مشغولة جدًّا ومرعوبة أيضًا من تطورات الحرب واندلاقها على الشئون المحلية خاصة على مستوى الشيعة المتبرمين من وقوف الكويت واصطفافها إلى جانب العراق. لقد كتبت مقالة في أول أسبوع من الحرب وتحديدا في سبتمبر 1980 بعنوان (أبعاد الحرب العراقية الإيرانية) نشرته جريدة الوطن الكويتية في الصفحة الأولى، وكان المرحوم محمد مساعد الصالح وقتها رئيسًا للتحرير قلت في ذلك المقال أن الحرب ستطول وستنتهز الولايات المتحدة هذه الفرصة لإنهاك

و إرهاق طرفي الحرب تارة بتقوية العراق على إيران وأخرى تقوية إيران على العراق حتى تستمر الحرب لأطول مدة ممكنة ولكي تتفرغ الولايات المتحدة لبناء نظام السي. ثري c3 الدفاعي المشكل من سلسلة قواعد في بر الخليج وشريط النفط في الجزيرة العربية وما عرف وقتها بمشروع هارولد براون Harlod Brown وزير الدفاع الأمريكي آنذاك وقلت فيما قلت في ذلك المقال إنه من مصلحة الدول الصغرى في شريط النفط الابتعاد عن هذه الحرب ومنها الكويت وعدم الاصطفاف على أي مستوى مع أي طرف لأن ذلك سينعكس في نهاية المطاف على أمن (الشريك الأصغر) في هذه الحرب. أذكر أنه تم استدعائي إلى وزارة الخارجية الكويتية وقال لي مسؤول كبير في الوزارة بنبرة غاضبة هذه الحرب ستنتهي بعد شهرين بالكثير وأنه لا مناص للكويت من الوقوف مع العراق قلت له: كم أتمنى لو أني مخطئ في رأي وأنك على حق، لكن حيثيات الموقف تقول إن الحرب ستطول وأننا سندفع الثمن غاليًا في نهايتها. ومع استمرار الحرب 1980 - 1988 توترت الحالة الأمنية في الكويت كثيرًا، وكانت خلال الانتخابات متوترة وهذا ما أشغل السلطة كثيرًا عن تدخلها المعهود في العملية الانتخابية، وكانت حريصة على كسب الناس في الداخل بسبب الحرب. وكانت نتيجة الانتخابات مفزعة للسلطة إذ نجحت مجموعة من المرشحين القادرين على تفعيل وتنشيط المعارضة في مرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها شريط النفط من الكويت إلى السلطنة إلا وهي الحرب المدمرة بين العراق و إيران، والتي اصطفت خلالها دول مجلس التعاون الخليجي مع العراق بشكل مبالغ فيه.

نقد ذاتي

● وبمراجعة تلك المرحلة لا أتردد بالقول إنني وهنا أعبر عن نفسي فقط لم أحسن التصرف والأداء السياسي في ذلك المجلس لأنني وبعض الزملاء -ودون ذكر الأسماء- أرعبنا الحكومة المرعوبة أصلا من حالة الحرب العراقية الإيرانية وتفريعاتها الأمنية على الكويت (من محاولة اغتيال المرحوم -بإذن الله- جابر الأحمد أمير البلاد 1985/5/25 وقبل ذلك وبعده اختطاف الطائرات كاظمة والجابرية وتفجيرات المقاهي الشعبية وضحاياها وقتلاها وغيرها من تفجيرات السفارات والشركات الأجنبية) هذه الحالة الأمنية المتوترة نتيجة للحرب العراقية الإيرانية كانت تستدعي منا في المجلس أن نضع أنفسنا في محل الحكومة المربوكة والمرعوبة ونبدي لها شيء من التعاون وهو ما لم نبديه.

طبيعة المرحلة فرضت علينا في الكويت وعلى الحكومة بالأخص السؤال التالي أيها أولى: الديمقراطية أم الأمن؟ دون أدنى شك كانت الإجابة لصالح الأمن. كنت عضوًا في لجنة الشئون الخارجية مع أربعة من الزملاء وكان وزير الخارجية آنذاك يجتمع معنا كل أربعاء ويعطينا صورة عن تطورات الحرب وانعكاساتها الداخلية على الكويت، وكانت انعكاسات خطيرة ومفزعة تنبئ بضغوط أمنية استثنائية وغير عادية على الكويت (طبعًا بسبب تأييدها المعلن للعراق) وكان هذا يقتضي منا مواقف أكثر تفهمًا لموقف الحكومة وقتها برئاسة المرحوم -بإذن الله- الشيخ سعد لكن على الرغم من ذلك غالينا كثيرًا بالضغط على الحكومة داخل المجلس ولم تكن الحكومة قادرة على تحمل هذا الضغط من الخارج (الحرب) ومن الداخل (المعارضة) فكان قرار الحل (غير الدستوري) والذي أدخل البلاد في نفق

مظلم لم نحسن التصرف خلاله حكومة ومعارضة. بمراجعة تلك المرحلة فشلنا -برأيي - (حكومة ومعارضة) في تحقيق التوازن بين متطلبات الأمن الوطني في تلك المرحلة ومتطلبات الحياة الديمقراطية في البلد. هذا التوازن كان يقتضي من الطرفين (حكومة ومعارضة) أن يتحليا ببعد نظر وسعه نفسية وفضيلة التغاضي وهذا ما لم يتحقق للأسف فكانت المرارات التي تمخضت عن ذلك من دواوين الاثنين والاعتقالات والحلول الأمنية القاصرة. ومع ذلك الله -جل وعلا- حفظ الكويت نعم الحافظ ونعم الوكيل وصدر المرسوم بحل مجلسنا في 1986/7/3 ودخلت البلد في نفق مظلم أدخلها فيما بعد بأحشاء الوحش العراقي.

سنوات الاضطراب: 1986-1990

● بعد حل المجلس توافر في البلد جو مريض وتبادل اتهامات بين الحكومة والمعارضة وجمهور ضائع بينهما وحرب بين العراق وإيران نسمع أزيز رصاصها ودوي مدافعها في الكويت. كنا نجتمع في منزل الأخ أحمد السعدون (رئيس المجلس) ونتساءل: ما العمل؟ لم تكن النفوس قد هدأت جراء قرار الحل ولم تكن التصورات قد اتضحت ولا الصفوف قد توحدت على برنامج عمل واضح. جل ما اتفقنا عليه في الأيام الأولى هو إدامة الاتصال بالناس وحثهم على المطالبة بحقوقهم الدستورية ووجود مجلس يمثلهم. لكن للأمانة أحسست ونحن نطوف على الدواوين أن قطاع من الناس يلوموننا على تأزيمنا للعلاقة مع الحكومة. هذا في أول الأيام، لكن بعد أن ركد غبار الحل وأخذ الناس ينظرون إلى الأمد البعيد أخذوا هم يتصلون بنا ويطالبوننا بالتحرك. لكن من المهم أن يعرف الناشط السياسي

طبيعة الجمهور في الكويت، فهو جمهور يتحرك كالنهر إذا عبّدت أمامه الطريق للانسياب. لكن من السهولة أن يأتي غيرك فيغير المجرى فينساب النهر في المجري الجديد ويمضي إلى اتجاه آخر تمامًا. كان علينا أن نحرك الجمهور ونقودهم للمطالبة بعودة المجلس. بعض الدواوين يتحمس وبعضها ويتخشب في جلسته وهو ينظر إليك وقد أطبق عليك الشرطة وأخذوك من المجلس أمام سبعمائة عقال ومعك أيضا صاحب الديوانية المرحوم -بإذن الله- جاسم القطامي ولم ينبس أحدهم بكلمة لا، كلمة مجرد كلمة. بعضهم جلس في ديوانية المرحوم بالشامية يمكن نصف قرن أو أقل بقليل ولم يعترض على اعتقاله مجرد باللفظ. دعاني المرحوم -بإذن الله- جاسم القطامي إلى ديوانه بالشامية ذات مساء 1989 للتحدث حول حل مجلس الأمة والمطالبة بعودته وفق خطتنا بإدامة الاتصال بالناس وتحريكهم. توجهت إلى ديوان المرحوم وإذا السكك والطرق المؤدية له مليئة بالسيارات والناس وسيارات الشرطة والأمن والمباحث وعندما وصلت إلى القاعة رأيت المرحوم يتصدر المجلس فاخترقت الزحمة إليه وأجلسني بجانبه وهو يبتسم ومسرور جدًّا لتجاوب الناس. وقدمني المرحوم بكلمات طيبة وطلب مني المباشرة بالحديث بعد أن أخبرني أن الناس في الخارج أكثر ويسمعون حديثنا وهم في سياراتهم. فبدأت والحديث بالقول إن الأمير لا يحق له حل المجلس بالطريقة التي تمت في 1986/7/3؛ لأن ذاك الحل هو حل غير دستوري ولأنه لم يحدد موعدًا للانتخابات ستين يوم كما ينص الدستور وهذا أمر مرفوض ولا ينبغي أن نقبل به. فجأة ظهر صوت في الخلف عند مدخل الديوان قائلا: أنا النقيب هزاع الصلال من أمن الدولة أطلب منك د. عبد الله أن تكف عن الكلام. قلت له: أنا ضيف عند جاسم القطامي

وهذا ديوانه وليس ضيف عندك وإذا طلب جاسم القطامي مني أن أكف عن الكلام فلا أمانع. فقال مندوب أمن الدولة لجاسم القطامي: أطلب من د. عبد الله أن يكف عن الكلام. فقال لي جاسم القطامي: أكمل بو مهند. فبدأت الحديث مواصلا. فما كان من الصلال ومعه شرطيان إلا أن اخترق الصفوف متوجهًا إلينا وعندما وصل إلينا طلب منا مرافقته. التفت على جاسم القطامي فقال لي: لا تقاوم لنذهب معهم فربما عندهم كم سؤال. الغريب في الأمر أن الجمهور كان متعاونًا مع الشرطة ومندوب أمن الدولة بطريقة وكأنها (تواطؤ)؛ لأنهم كانوا يفسحون الطريق لهم. ولم أسمع كلمة -مجرد كلمة- احتجاج من هذا الجمهور الكثيف الذي قدَّره جاسم القطامي فيما بعد بمخفر شويخ الصناعي بسبعمائة من المواطنين الكويتيين. أدخلونا في غرفة في مخفر شويخ الصناعي جاسم القطامي وأنا وأغلقوها علينا. لاحظت أن أبا محمد كان مرهقًا فقلت له: نم وسأوقظك لصلاة الفجر نام -رحمه الله- أما أنا فلم أستطع الظاهر أن بو محمد متعود على الجمهور الكويتي فمند أن كنا طلبة في المدارس ونحن نسمع عن جولاته وصولاته في المعارضة وهو رجل مجرب ومخضرم ونحن أمامه أغرار. لم أستطع أن أنام وأصابني الغثيان من موقف الجمهور في ديوان القطامي وكدت أتقيأ تلك الليلة لكن حرصي على ألا أوقظ بو محمد وعدم وجود حمام ألجأ إليه دفعني لكي (أقمع) التقيؤ. لكن لا أخفي القارئ أن موقف الجمهور في ديوان القطامي وهو موقف سلبي للغاية تجاه القضية وتجاه صاحب الديوانية الذي استضافهم لنصف قرن ولم يعترضوا حتى لفظًا على اعتقاله دفعني للتفكير العميق في طبيعة الكويتيين وخلصت إلى قناعة: ليسعك بيتك. من الغد نقلوا بو محمد إلى مخفر العديلية ونقلوني إلى مخفر كيفان وانقطعت أخبار بو محمد عني.

صلاة الجمعة في مخفر كيفان

● حانت صلاة الجمعة وأنا معتقل في مخفر كيفان. طلبت من ضابط المخفر أن يسمح لي بالذهاب إلى المسجد الملاصق للمخفر لأداء الجمعة مع جماعة المسلمين. رفع الهاتف وخابر طرفًا لم أعلم من هو وأخبره برغبتي وأغلق الهاتف وقال: ممنوع. قلت له: لا يجوز أن أتخلف عن الصلاة لما سمعت النداء وأقدر على السعي إليها. قال: ممنوع. قلت له: إذن نصلي الجمعة في المخفر. قم أنت معي ونادي على زملائك من شرطة وفراشين لنخلي مكتبك من هذا الأثاث المتراكم لنؤدي الصلاة هنا. قام الرجل وجاء الشرطة يمكن كانوا أربعة واثنين من الخدم وأنا يعني كنا ثمانية. فيسألني الضابط، هل هذا العدد يكفي للجمعة؟ قلت له: الرأي الراجح أنها تصح باثنين فأكثر لقول رسول الله ﷺ (الاثنان فما فوقهما جماعة) ونحن ثمانية. انشرح الضابط ومعه الشرطة. رفع أحدنا الأذان لا أذكر من. فوقفت وحمدت الله واثنيت على رسول الله ﷺ وشرعت في الخطبة وكان مدارها هو تفسير سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 - 3] وقلت فيما قلت إن التواصي بالحق ضرورة بين المسلمين وأمامه معوقات كثيرة طغيان الطغاة وظلم الظلمة وجور الجائرين وواجبكم أنتم- موجهًا خطابي للضابط والشرطة- حراسة هذا الواجب (التواصي بالحق) لا قَمعة وحراسة الحق والعدل ولا تنسوا أن الله قال متوعدًا فرعون وهامان وجنودهما الذين اعترضوا طريق موسى وهو يقوم بواجب (التواصي بالحق) قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: 8] لاحظوا موجهًا خطابي للضابط والشرطة الأفراد - لم يقل إن فرعون وهامان كانوا خاطئين، بل أضاف

إليهما وجنودهما أي أن وزر الجنود سيكون يوم الحساب كوزر فرعون وهامان ولذلك - أيضا موجهًا خطابي للضابط والشرطة الأفراد لن تنفعكم غدًا عند لقاء الله (والله كنت عبدًا مأمورًا). فأخذ الجماعة يتلفتون على بعض وفيهم حيرة وقلت في نهاية الخطبة الثانية: (إني داع فأمِّنوا. اللهم سلط على الظالمين من لا يخافك فيهم ولا يرحمهم) قالوا: آمين. (اللهم أكفنيهم بما شئت) قالوا: أمين. (اللهم اهزمهم وزلزلهم) قالوا: آمين. (اللهم خلص البلاد والعباد من شرورهم) قالوا: آمين. ثم أقيمت الصلاة وصلينا ولله الحمد صلاة الجمعة في مخفر كيفان. بعد الغداء طلبت كاسة الشاي المعتادة فأحضرها لي فراش لم أتعرف عليه فطلبت منه أن ينادي ضابط المخفر فإذا هو ضابط لم أتعرف عليه فسألته أين الجماعة فلان وفلان قال: سحبت الوزارة الجميع بعد وصول نبأ صلاتك الجماعة وتأمينهم على الأدعية التي رفعتها بعد الخطبة. وصلت الرسالة الحمد لله.

دواوين الاثنين

● للحفاظ على حيوية المطلب بعودة الحياة النيابية والحفاظ على إدامة الاتصال بالناس ولتوصيل رسالة أسبوعية للسلطة قررنا في اجتماع في دارة رئيس المجلس أحمد السعدون (32 نائبًا معارضًا لمرسوم الحل) أن نعقد اجتماعات جماهيرية كل يوم اثنين في 3 محطات تتغير من أسبوع إلى آخر. كان هذا الأمر قد حقق أهدافه من أول اثنين غير أنه كان أمرًا محفوفًا بالمخاطر ومثير جدًا للسلطة لكن كان من الصعب أن يدفع الأخيرة لموقف تفاوضي وهو ما كنا نصبوا إليه لكن بعد خراب البصرة. ثم إلى متى نستمر في هذه الدواوين؟ وكيف نضمن سلميتها؟ ولماذا لا نبتكر وسائل تفاوضية مع

السلطة قد تكون مثمرة؟ لماذا لا نجرب؟ للأسف الأجواء في البلد لم تكن تشجع على مرونة المواقف لا من طرف الحكومة ولا من طرف المعارضة التي أنتمي إليها وأؤمن بخطابها السياسي المشكلة أن الحكومة عندها إمكانيات وما عندها تصورات، والمعارضة عندها تصورات وما عندها إمكانيات وضاعت الديرة 1990 لفقدان التشاور بين الحكومة والسلطة من جهة والمعارضة من جهة أخرى. وفي يقيني أن مأساة الغزو العراقي للبلد كان من الممكن تفاديه لو توفر في الكويت حالة من التوافق الداخلي وروح براجماتية في التعامل مع الغول leviathan العراقي. والمفاوضات التي دارت في مدينة (جدة) بين العراق والكويت اكتنفتها أجواء من التوتر والغموض وزادها غموضًا عدم وجود السلطة التشريعية ممثلة في (مجلس الأمة) ولجنته للشئون الخارجية التي لو كانت موجودة لوضعنا وزير الخارجية آنذاك بالصورة ولتشاورنا بالأمر. قالوا كلامًا كثيرًا في الصحافة الكويتية عن تعنت الموقف العراقي مع الطرف الكويتي في جدة، ولا أدري ماذا كانوا يتوقعون من الطرف العراقي في تلك الظروف غير التعنت وقالوا إن صدام يطلب من الكويت عشرة مليارات من الدولارات فورًا لإنقاذ الحالة الاقتصادية في العراق بعد الحرب مع إيران ثماني سنوات - كانت الكويت هنا- خاصة الحكومة - تشجعه عليها. وجهة نظري وقتها لماذا لا نعطيه هذا وأكثر حتى نكف شره؟ بعضهم - بل جلهم - كانوا يعارضون ويتحججون بـ (السيادة الكويتية) التي نسيناها تماما لمدة ثماني سنوات خلال حرب العراق مع إيران.

الغزو العراقي للكويت: هل كان مفاجأة؟

● هل كان الغزو العراقي للكويت مفاجأة؟ للإجابة الموضوعية على هذا السؤال لابد من قراءة تقرير (لجنة تقصي الحقائق عن أسباب الغزو العراقي لدولة الكويت). لقد شكَّل مجلس الأمة 1992 لجنة تقصي حقائق في الموضوع المذكور تكونت من 9 أعضاء: صالح الفضالة، وأحمد باقر، وإسماعيل خضر الشطي، ويعقوب حياتي، وفهد الميع، وطلال العيار، ومحمد شرار، وخالد العدوة، وعبدالله النيباري. وعقدت اللجنة 96 جلسة لمدة 226 ساعة عمل ما بين 1992/12/10 إلى 1995/8/14. ومن يقرأ التقرير ومقابلات اللجنة مع الأشخاص المعنيين والمعلومات المتجمعة لديها يدرك تمام الإدراك أن الغزو العراقي لدولة الكويت لم يكن مفاجئًا، بل سبقته إرهاصات ومقدمات كثيرة لم تحسن الكويت التعامل معها بجدية على مستوى القيادة والحكومة. السفير خالد البحوة سفير الكويت لدى العراق وقتها نقل منذ 1990/7/17رسالة مؤكدة من سفيرة الولايات المتحدة لدى بغداد.

أبريل جلاسبي أن صدام قرر احتلال الكويت وعلى الكويت أن تأخذ احتياطاتها. وكذلك حسب التقرير فإن عبد الرحمن العتيقي مستشار الأمير نقل له في 1990/7/17 وجهة نظره بأن المتتبع للموضوع يدرك أن صدام (جاي في الطريق). وأما د. طارق رزوقي سفير الكويت في باريس فقد أخبرته المخابرات الفرنسية بأن صدام قرر عملًا عسكريًا ضد الكويت ولذلك جاء السفير إلى الكويت 1990/7/30 لإبلاغ المسئولين بذلك. وكان مجموعة من المواطنين منهم فيصل الدويش ومشاري العصيمي والمرحوم -بإذن الله- أحمد بزيع الياسين في زيارة لبغداد 1990/7/15 رجعوا إلى

الكويت ونقلوا للمسئولين (الأمير ورئيس الوزراء ووزير الخارجية) نفس المضمون. أخبرني -شخصيًا- سفير إيران لدى الكويت حسين صادقي بأنه نقل نفس المعنى لوزير الخارجية الكويتي آنذاك قبل الغزو بأسبوع بالضبط أي الخميس 1990/7/26 استنادًا إلى تقرير للمخابرات الإيرانية في البصرة بأن صدام على وشك الهجوم على الكويت. على الرغم من تجمع هذا الكم الخطير من المعلومات والتهديدات المعلنة على لسان صدام حسين نفسه ووزير خارجيته طارق عزيز ووزير داخليته سمير عبد الوهاب، على الرغم من ذلك كان رد فعل المسئولين في الكويت: لا داعي للقلق (انظر تفاصيل التقرير).

ودخل الجيش العراقي الكويت فجر 1990/8/2 فدمر ما شاء أن يدمر وقتل من شاء أن يقتل وانتهك أعراض الناس وعذبهم وسرق ممتلكاتهم وجثم على البلاد والعباد سبعة شهور وما كان من كافة المسئولين إلا أن ركبوا سياراتهم وهربوا وتركوا البلاد والعباد تحت رحمة الغول العراقي وانتهت الحفلة ولم يقص أحدًا من المسئولين عن منصبه ولم يحاسب ولم يحاكم لا بل عاد الجميع إلى ما كانوا عليه وتجددت بيعة الكويتيين للجميع وكأن الغزو العراقي كان حلمًا في المنام وها نحن استيقظنا واستأنفنا يومنا - لو حدث هذا في بلد غير الكويت لكان ما كان بعده؛ لكن ماذا يقول غير: الله المستعان على هذا الهون.

ليس هذا فحسب بل ركّبوا على وأنيت - كما يبدو- إذاعة، تبث نداءات للشعب الكويتي رسالتها: قاوم الاحتلال العراقي ولم يسألوا أنفسهم كيف يقاوم الكويتيون العُزل.من السلاح نصف مليون جندي عراقي مدججين بالسلاح وتحملهم آليات ثقيلة: دبابات ومدفعية. كانت المقاومة -في إطار

تلك الظروف- عملًا انتحاريًا لا تتوفر لها -أي المقاومة- الشروط الفنية والموضوعية على الرغم من ضرورتها وأهميتها ورمزيتها. وكانت المصالح الأمريكية (نفط) في الكويت هي المحرك الرئيس لعملية تحرير الكويت من الاحتلال العراقي في فبراير 1991 وهي عملية -أي التحرير- قامت بقيادتها الولايات المتحدة بامتياز.

تمت بحمد الله

ملحق الصور

THE ISLAMIC CENTER OF BEIRUT
KHALIAH OF MOSQUE SHEHAB
SALADDINE Street - HAMRA
Phone : 249664

المركز الاسلامي في بيروت
خلية شهاب ، شارع صلاح الدين
الحمراء - بيروت
تلفون : ٢٤٩٦٦٤

Beirut, بيروت في ١٠ فبراير ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة سفير دولة الكويت الموقر
بيروت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

باسم المركز الاسلامي في بيروت ارفع لكم هذا الطلب . ان المركز الاسلامي في بيروت هو ملتقى الطلبة المسلمين في الجامعة الامريكية ومهمته بعث احياء الشعور الاسلامي في الوسط الطلابي وتعديل مفهوم العقيدة الاسلامية باقامة الندوات والقاء المحاضرات والقيام بتدريس الطلبة المسلمين الغير عرب اللغة العربية حتى يكونوا على صلة دائمة بالقرآن الكريم كما انه تقدم دروس قرآنية فيها يلقن الطلبة المسلمين مبادئ الاسلام بلغة العصر الحديث ووسائله في الاقناع والمناقشة .

ولقد انتخبت في بداية العام الدراسي هيئة ادارية للمركز تضم طلابا من الكويت والسودان والاردن ولبنان والمغرب وباكستان ولقد القيت على مسؤولية رئاسة اللجنة الثقافية عسى ان اكون جديرا بتحمل مسؤولياتها . هذا وقد دعت اللجنة الثقافية عدة شخصيات لها دور في مجال الدعوة الاسلامية لالقاء المحاضرات الغرض منها توضيح معالم المنهاج الاسلامي . ومن ثمار جهود اللجنة الثقافية هذه النشرة تحت عنوان " صوت الاسلام " التي ارفقتها مع رسالتي هذه تحوي عدة مقالات لتوضيح المفاهيم الاسلامية والتي توزع مجانا بين طلبة وطالبات الجامعة الامريكية مسلمين كانوا ام غير مسلمين وذلك بعد ان حصلت على اذن من ادارة الجامعة . وليس للمركز مورد ثابت حتى يضمن صدور هذه النشرة واستمرار غيرها من النشاطات بانتظام في المستقبل لان وارداته من تبرعات الطلبة وهي ضئيلة جدا كما تعلمون .

هذا وان هناك مؤسسات سياسية لها نشاط كبير في الوسط الجامعي القت على عاتقها مسؤولية تشكيك الطلبة المسلمين بتراثهم المجيد ومنهاجهم العظيم وليس هناك من مقاوم الا صفوة ضئيلة من الشباب الذى كانت من ثمرات جهوده نشرتنا " صوت الاسلام " . واحب افادتكم ان هذا الصوت سيصمت ان لم تمدوه وتساندوه ليعود لكم شبابكم لبنات بناء بدلا من معاول هدم والله شهيد على ذلك .

وانني لعلى يقين بان الحكومة الكويتية لن تتأخر بدعم نشاطنا الطلابي لحفظ اخواننا الطلاب والله من وراء القصد .

الطالب عبد الله فهد النفيسي
رئيس اللجنة الثقافية

I.C.B. Cabinet 1963-1964.

Name	Position
Zakariyya Abu-Hamdiyyah Arts IV	President
Md. Hamid Abdullah Agr. II	Secretary
Mazour Perzada Agr. Grad.	Treasurer
Abdullah Mukhtar Sc. I	Members
Gul Shahin Shah Agr. grad.	Members
Abdul Qadir Ben Ajeebah Sc. I	Members
Abdullah Nafisi Arts I	Members
Wajid Ali Khan.	Members

Sawt-el Islam Editors

Name	Position
Abdullah Nafisi Arts I	Chief editor
Salman Ali Salman Sc. III	
Abdul Salam Fadousin Arts I	
Abdul Sattar chandery Public Health	
Ruhani	



«انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله»

البلاغ

نشرة طلابية

تؤمن بالاسلام عقيدة وجهاد ونظام حياة

المسؤول عنها

عبد الله الفهد النفيسي

الجامعة الأمريكية في بيروت

ص.ب: ١٥٠٩ – لبنان

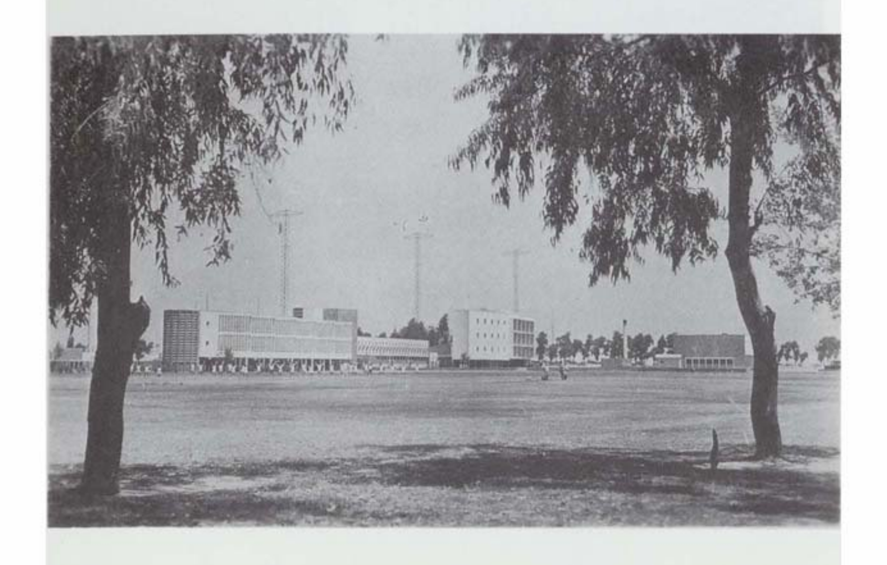
AL-BALAGH

Student Bulletin

Supervised by :

Abdallah Fahd Al-Nafisi

American University of Beirut
P. O. Box 1509
Lebanon

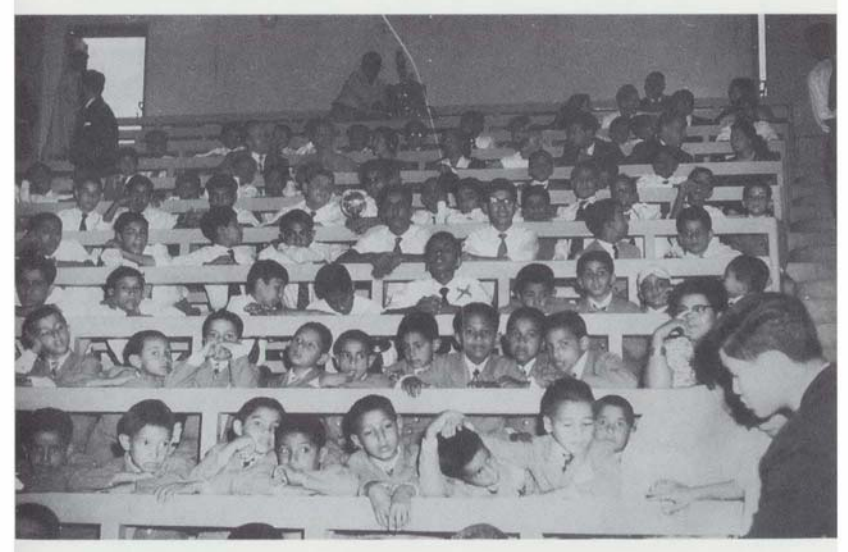




فيكتوريا : من الجو ومن بُعد



فيكتوريا : من الجو ومن بُعد



في صالة السينما في فيكتوريا كوليج المعادي 1958

Muslim student hostel- London is august 1971



1959 tea time فيكتوريا



1959 tea time فيكتوريا



البرلمان الدولي Canada - 1968



الطريق طويل إلى كندا اليوم أحسن



لفت نظري رشاقة حركة هذا الشيبة في قمة الجبل الأخضر وسألته عن سر لياقته فقال: «وَخُر عن النسا وعن الأَچل الدَّسِم».
قلت له: هاي چايدة في يسار الصورة تظهر طائرتنا الخاصة (1975)



مع الوالي (الجبل الأخضر) 1975



جلسة مشاورة في ظفار 1975 برفقة د. جيري أوبرماير Jerry Obermeyer مدرس الأنثروبولوجي في الجامعة الأمريكية ببيروت



الجبل الأخضر 1975 عُمان لمست استعداد عفوي للعمل التطوّعي في عُمان

العمانيون يعشقون بلادهم



مع الأخ إبراهيم سا من ماليزيا خلال حلقة نقاش discussion

group 1971



مع والي ظفار الشيخ بريك الغافري رحمه الله 1975



مع إبراهيم سبا النقابي الماليزي في حديقة

السكن الطلابي 1971



المرحوم المهندس نجم الدين أربكان والمرحوم أحمد بريع الياسين والمؤلف خلال

زيارة أربكان للكويت 1985

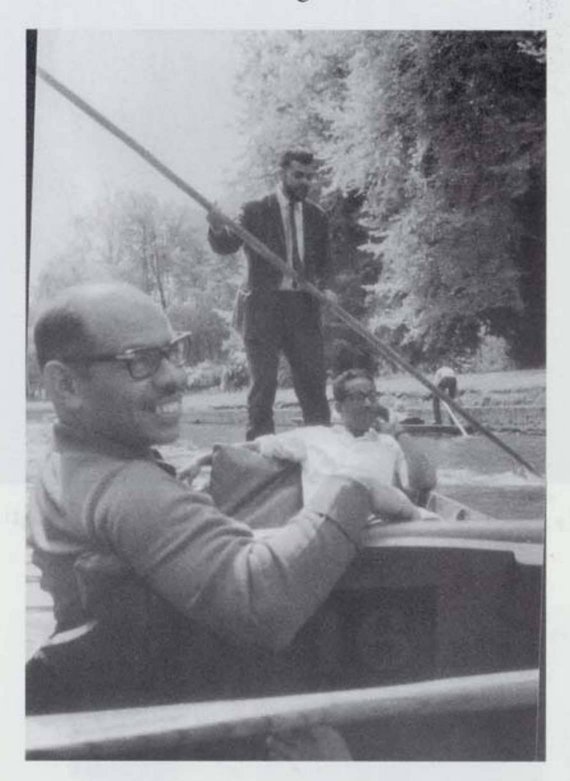


أمام

15 Warwick rd old Trafford Manchester

على متن الفيسبا 1962

Cambridge 1970



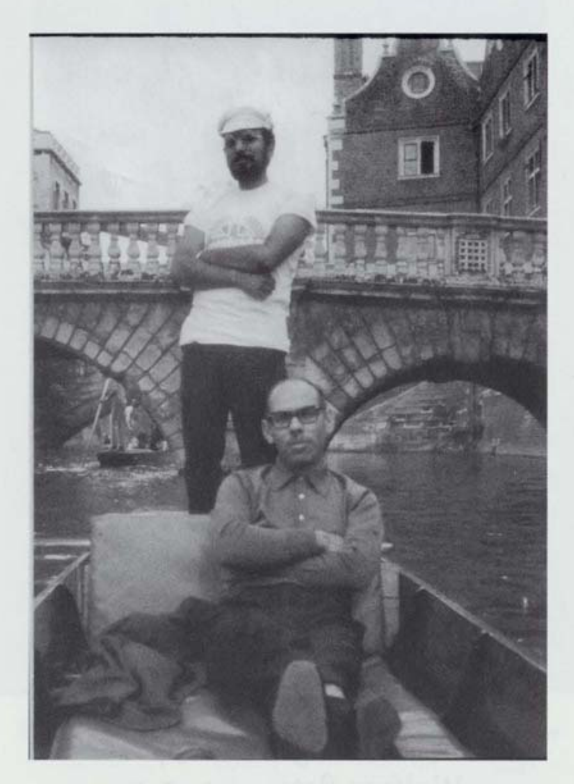
زملاء الدراسة في كمبردج في رحلة نهرية (punting)

وقوفًا: الشهيد عمرو خليفة النامي (ليبيا)

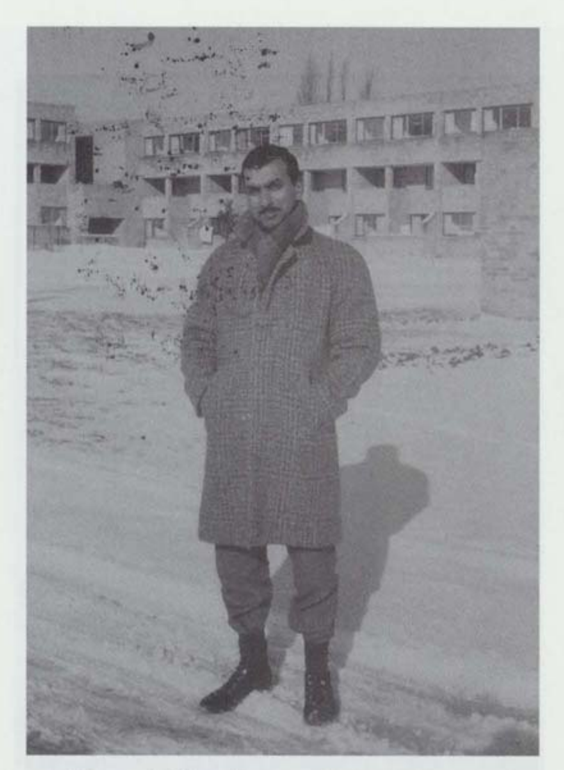
جلوسًا: الشهيد حسن عبد الحميد (غزة)

الأخ إبراهيم عمر (السودان)

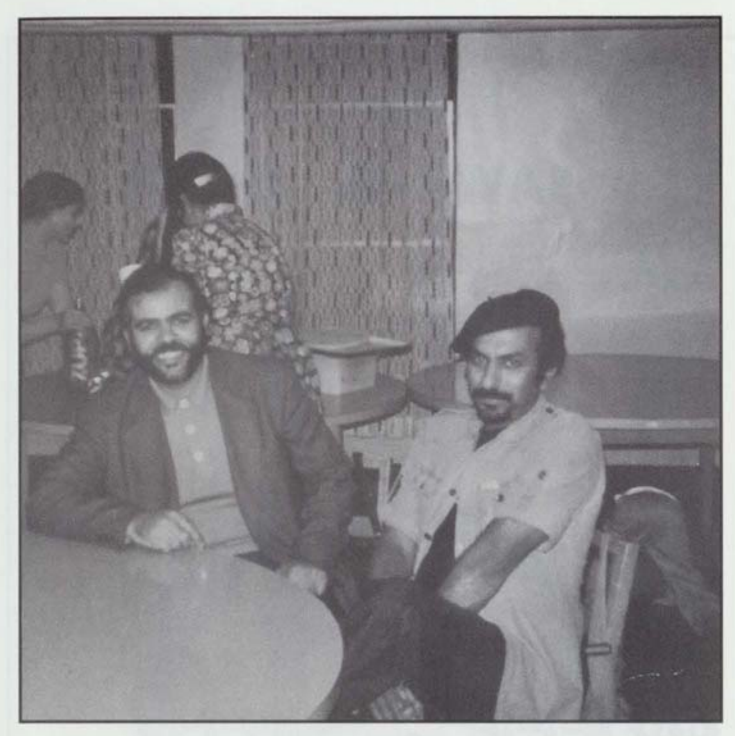
في هذه ينقصنا زميلنا المرحوم -بإذن الله- أحمد العسال (مصر) الصورة



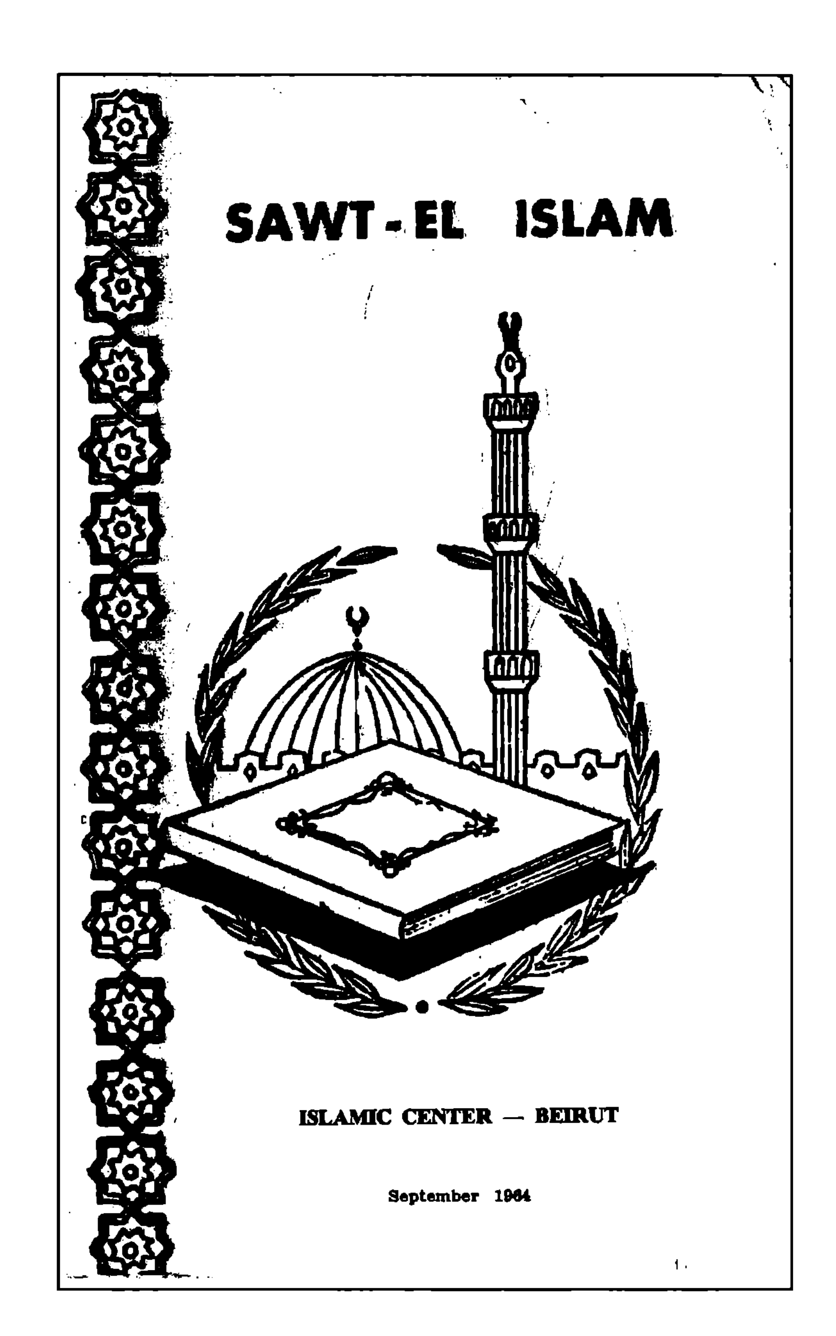
مع الشهيد حسن عبد الحميد (أبو منذر) 1970

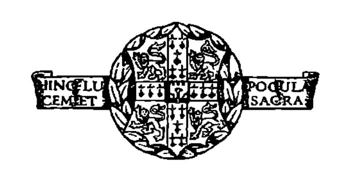


Churchill college 1970 شتاء الجليد
Wolfson flatsالسكن الجامعي



1977 Michigan amroo ann مع الشهيد عمرو النامي


SAWT - EL ISLAM
ISLAMIC CENTER — BEIRUT
September 1964



UNIVERSITY OF CAMBRIDGE

I hereby certify that

ABDULLAH FAHAD AL-NAFEESI

of Churchill College

in the University of Cambridge was at a full Congregation holden in the Senate House on 19 February 1972 admitted to the Degree of DOCTOR of PHILOSOPHY

Witness my hand this nineteenth day of February one thousand nine hundred and seventy-two

R. E. Macpherson

Registrary of the University

R. F. Harrison

Registrary's Clerk



من أيام العمر الماضي

في هذه الساعة من النهار يضجّ فناء المدرسة بحركة التلاميذ: العاشرة والنصف أول فرصة للاستراحة - أو كما يسمونها في كلية فيكتوريا الـFirst break - يتجمهر الطلبة عند المقصف tuck Shop الذي يُديره مايك جابرليدس Mike القبرصي اليوناني البدين الودود وزوجته الضئيلة التي تشكو دائمًا من البرد والزُكام.

الخيارات في المقصف محدودة: سندوتش جبنة رومي، لوح شيكولاتة كورونا، أو «دونت» بمربى الفراولة أو قنينة سيترو Citro وفي مناسبات نادرة آيس كريم. وقتها كنا أطفالاً لم نتجاوز الثامنة يملؤنا الفرح والأمل والبراءة. كانت كلية فيكتوريا Victoria College بالنسبة لطلبتها والقابعة في طرف حيّ المعادي (جنوب القاهرة) أهم مؤسسة في حياتهم خصوصًا الطلبة الداخلية boarding الذين يسكنون في عنابر الكلية أي في الـdormitories، ويستشعرون رسوخ معيتهم الجمعية togetherness في الكلية (المدرسة) عنابر السكن وقاعة الطعام الفسيحة وحوض السباحة وقاعة السينما حيث نشاهد كل يوم أحد فيلمًا (طبعًا أسود وأبيض) وفي الأغلب كوميديًا: Laurel Hardy و Charles Chaplin

د. عبدالله النفيسي


ISBN 978-99966-59-45-4
9 789996 659454


Aafaq BOOKSTORE مكتبة آفاق

Tel.: +965 - 22256141 Fax: +965 - 22256142
P.O.Box: 20585 Safat Postal Code: 13066 Kuwait
Info@aafaq.com.kw www.aafaq.com.kw